مساوٍ للآب في الجوهر

القديس يوحنا ذهبي الفم

الطبعة الثانية



المحتويات

نبذة عن القديس يوحنا ذهبى الفم

القديس يوحنا القسطنطينى هو الذى سماه معاصروه "الذهبى الفم الكبير" ثم تركوا هذا اللقب لكى يُصاغ بالاسم الذى عُرف به عند خلفائهم.

وقد عاش هذا القديس- الذى كان موهوباً بطلاقة لسان حقيقية في وسط ملائم بصفة خاصة لاستثمار مثل هذه الوزنة، فهو لم يكن من أولئك الذين يدفنوها. وكما رأينا فى مثل الوزنات فى الإنجيل، فقد ضاعف القديس وزنته عدة مرات بحكمة استخدامه لها. ولكن كما فى حالة الكثير من الموهوبين فإن عظمة هذا الرجل قد قُدرت على حقيقاتها فقط بعد انتهاء أيامه المباركة.

ولد القديس بين سنتى ٣٤٤، ٣٤٧ م ورقد فى الرب عام ٤٠٧م. وتعتبر مصادر سيرته واحدة من أكثر سير آباء الكنيسة فى القرن الرابع المدعمة بوثائق كاملة، كما أنها تتضمن شهادات موثوق بهامرتبطة بعصره. كذلك يمكن الحصول على بعض المعلومات عنه من كتاباته.

وعندما بدأت خدمته النشيطة بدأ يشعر بشدّ وجذب من تيارات الصراعات مع الاتجاهات الهرطوقية، ومنذ رسامته شماساً نحو عام ٣٨١م بدأت خدماته الكنسية ومنها تعليم الموعوظين، ثم رُسم كاهناً عم ٣٨٦م فبدأت تظهر أهمية أعماله للمؤرخين الكنسيين. ولما تقدمت الأيام بالأسقف الإنطاكى "فلافيان" اعتمد على القديس يوحنا الذى ازدادت حينئذ موهبة الروح فيه حتى صار عمله الرئيسى هو وعظ الشعب وتعليمه.

وقد صار شعب إنطاكية حينئذ شديد التعلق. بمعلمه القدير حتى صار هو مرشحهم الوحيد لكى يخلف أسقفهم "فلافيان"، إلا أن أسقف القسطنطينية توفى عام ٣٩٧م، وبعد صراعات (بين مختلف الأحزاب) أحضر الإمبراطور أركاديوس القديس يوحنا بحيلة حيث رُسم سنة ٣٩٨م أسقفاً على القسطنطينية.

ولما كان من واجباته الرعوية أن يهاجم فى عظاته تعظم المعيشة وإهمال الأغنياء للفقراء والتزين الفاضح للنساء، فقد أثار ذلك استياء الأغنياء وبعض رجال الإكليروس ورجال الدولة ولاسيما الإمبراطورة "أودكسية"، بالإضافة إلى ذلك فإن البابا السكندرى تيؤفيلس تزعم مجمعاً مكوناً من أعداء القديس يوحنا وقرروا فيه عزله من رتبته.

لم تتمكن السلطات من أن تنفى القديس فى الحال لتعلق الشعب به بسبب تدابير أخرى من العناية الإلهية، ولكنهم بعد عدة شهور استصدروا قراراً من الإمبراطور أركاديوس بنفيه وذلك فى ٢٤ يونيو سنة ٤٠٤م. فاصطحبته قوة عسكرية إلى بلاد القوقاز المتطرفة، وظلوا هكذا يقتادونه فى سفر متواصل دون أن يشفقوا على جسمه النحيل من النسك ولا على حالته الصحية فى امراضه وشيخوخته حتى اصطحبه أخيراً اثنان من الجنود فقط صدرت إليهما أوامر بالإسراع به قدر المستطاع إلى مكان نفيه لعله يموت فى الطريق، وهو ما حدث فى ٢٦ نوفمبر سنة ٤٠٧م، بحسب سنكسار الكنيسة.

تقديم

أشعر بغاية السعادة أن نقدم للقراء كتابات القديس يوحنا ذهبى الفم الذى تعتز به الكنائس الارثوذكسية الشرقية والكاثوليكية وايضاً الأسقفية . ولقد كان القديس يوحنا ذهبى الفم واعظاً قديراً لذلك سمى " بذهبى الفم " ولا شك أن السبب فى قوة كتاباته وعظاته أنها نابعة من الكتاب المقدس الذى درسه بعناية وفسره بدقة وأعلنه بشجاعة لا نظير لها جعلته لا يعبأ باضطهاد الامبراطور الرومانى له واستبعاده من مكانه كأسقف للقسطنطينيه.

أصلى أن كل من يقرأ هذا الكتاب يزداد إيماناً وتمسكاً بيسوع المسيح " المساوى للآب فى الجوهر " والذى يفتح ذراعيه لكل من يتوب ويرجع إليه.

المطران الدكتور/منير حنا انيس

مطران الكنيسة الأسقفية بمصر

وشمال افريقيا والقرن الافريقي

مقدمة

إن العظات الست المذكورة في هذا الكتاب "مساوٍ للآب في الجوهر" بالرغم من أنها تحمل عنوان مختلف، لكنها ذات ارتباط وثيق مع العظات الخمس التي تحمل عنوان "طبيعة الله غير المدركة" والتي سبق ترجمتها وكلاهما وجهان متكاملان للسر المسيحي.

إن طبيعة الله غير المدركة لا تتنافى في نفس الوقت مع حتمية وجوده، وهذا أمر مفروغ منه. لكن تجسد الله في هذا العالم هو تحدٍ للعقل البشري، لهذا السبب فإن البشر بكثير من الجهد قبلوا ألوهية المسيح إذ أنه ليس أحد يقدر أن يقول يسوعَ رب إلا بالروح القدس (١كو١٢:٣).

إن الابن قد ظهر بطرق مختلفة ومتنوعة لآباء العهد القديم: فهو الذي ظهر على شكل ملاك لمنوح "فقال له الرب: لماذا تسألني عن أسمي وهو عجيب.. نموت موتاً لأننا قد رأينا الله" (قض١٣:١٣، ١٦، ١٨، ٢٢). فإن الذي ظهر لمنوح في هيئة ملاك هو الكلمة، كما إنه يُعتقد أيضاً بأن الذي ظهر ليعقوب وصارع معه الليل كله هو الكلمة ويعقوب يقول: "... لأني نظرت الله وجهاً لوجه.. " (تك٣٢:٢٩، ٣٠).

وعندما جاء ملء الزمان صار هذا الكلمة عينه إنساناً وحل بيننا ورأينا مجده. إن يسوع الناصري الذي ولد من مريم العذراء بطريقة إعجازية هو الابن الأزلي، هو الله الذي ظهر في الجسد "عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد" (١تي٣:١٦). وعندما تَقابل هذا "الكلمة" مع جماعة من الناس غيّر حياتهم

وملأهم بروحه القدوس، فعلّموا بعد قيامته بلاهوته، وذلك لأن الروح قد فتح عيونهم وقلوبهم فعرفوا بأنه هو رب المجد، ولقد أدركوا أعماله الإلهية في حياته وتصرفاته ومعجزاته.

وكانت المعجزات دليلاً صارخاً لإظهار لاهوته. فمع أن الرسل والأنبياء قاموا هم أنفسهم بعمل معجزات خارقة للطبيعة تشبه المعجزات التي قام بها المسيح، إلا أن الطريقة التي أجرى بها السيد هذه القوات كانت تختلف تماماً عن الطرق التي استعملها الأنبياء والرسل. فمع أن السيد كان يصلي في بعض الأحيان قبل إجراء المعجزة، إلا أنه قام بكثير من المعجزات دون أن يصلي.

إن الأنبياء والرسل كانوا يقومون بعمل المعجزات بعد أن يطلبوا من رب المعجزات أن يتدخل فتحدث المعجزة. أما المسيح فلم يفعل المعجزات فحسب، بل منح أتباعه سلطاناً لعمل المعجزات، لأنه كان هو نفسه رب المعجزات. وذهبي الفم بدوره رأى في هذه المعجزات أعظم دحض للهرطقة التي تنكر ألوهيته واستغل كل مصادر فصاحته، تارة بالالتزام بقواعد الفصاحة وتارة أخرى تاركاً نفسه للكلام التلقائي.

من المحتمل أن أربعة من هذه العظات أُلقيت على شعب إنطاكية بينما كان ذهبي الفم لا يزال قسًّا وآخر عظتين من الستة أُلقيتا على شعب القسطنطينية عقب توليه لمنصب البطريرك بفترة قصيرة.

والرب قادر أن يستخدم هذه العظات لمجد اسمه ببركة القديسة مريم وببركة صلوات قديسنا الحبيب يوحنا ذهبي الفم ولربنا كل مجد وكرامة إلى أبد الآبدين.. آمين.

العظة الأولى (١)

لأبينا الذي بين القديسين يوحنا ذهبي الفم عن الذين هجروا الاجتماع (القداس) ... برهان أن الابن هو من نفس جوهر الآب وأن كلماته وأفعاله كانت لها صفة الوضاعة (الإتضاع) وهذا لم يكن بسبب نقص في القوة لديه وليس بسبب تدنيه (عن الآب) تمت هذه الأفعال والأقوال، بل لدوافع مختلفة. الحديث السابع من الأحاديث التي عالجت موضوع طبيعة الله غير المدركة وما يترتب عليها.

مقدمة

مرة ثانية بدأت سباقات الخيل ومن جديد بدأ اجتماعنا في التقلص. لكن طالما أنتم حاضرون فلا يمكن لاجتماعنا أن يتقلص. لو كان للفلاح أن يرى محصوله في قمة ازدهاره وجاهزاً للحصاد فإنه سيضع اعتباراً طفيفاً لكون (بعض) الأوراق تتساقط. وحيث أنكم هنا كحصاد لي فلن أشعر بمثل هذا الضيق العظيم الآن إذ أرى أن الأوراق التي سقطت قد جُرفت بعيداً. إنني حزين لرخاوة وتهاون من هم غير حاضرين هنا، لكن اجتهاد جمعكم الحبيب يا من أنتم حاضرون هنا أيضاً يعزيني (ويعوضني) عن الألم الذي أشعر به لمن هم غائبون. أحياناً يأتي هؤلاء الغائبون لحضور الخدمات الإلهية التي نقدمها، إلا

١- تم من قبل ترجمة خمس عظات تحت عنوان "الله لا يمكن إدراكه" وتم إغفال العظة السادسة في النص الفرنسي الذي عنه ترجمنا هذه العظات الحالية لأنها تتحدث عن سيرة الطوباوي فيلوجونيس Philogonius الذي صادف ذكراه أحد أيام إلقاء هذه العظات، وسيرته خارج نطاق مضمون بقية سلسلة العظات وإن أخذ مسلسل عظة ٦ ووجدت في كتاب "الله لا يمكن إدراكه" وترجمناه عن سلسلة The Fathers Of The Church V.72 وقد تجاهلنا ترجمة هذه العظة لنفس السبب.

أنهم مع ذلك لا يكونوا بالفعل حاضرين، فأجسادهم هنا لكن أذهانهم شاردة بعيداً. لكن بالنسبة لكم حتى لو كنتم متواجدين بعيداً عن اجتماعنا، لكن ذهنكم موجود هنا. ربما تكون أجسادكم في موضع ما، لكن أذهانكم هنا في الكنيسة.

إنني كنت أرغب في إلقاء حديث مطوّل ضد من هم غائبون عنا، لكن ليس لي رغبة في توبيخ من هم غير حاضرين ولا ينصتوا لكلامي. أن أوبخهم فهذا يجعلني أبدو كمن يحارب أشباح. لذلك سأحتفظ بكلامي لحين تواجدهم هنا. أما الآن سأحاول أن أقود اجتماعكم الحبيب - بنعمة الله - إلى روضتكم المعتادة وإلى بحر الأسفار المقدسة.

دعوة إلى الانتباه

لكن عليكم أن تنتبهوا وتظلوا يقظين. في حالة من هم في رحلة (بحرية) حتى لو كان كل إنسان آخر نائماً، فطالما أن القبطان بمفرده يقظ ومتنبه فلا يوجد خطر، إذ أن يقظته ومهارته الملاحية كافيان أكثر من كل شيء لحفظ السفينة في أمان. لكن ليس الوضع مماثل هنا في الكنيسة، فحتى لو كان الواعظ منتبهاً وصاحياً، لكن سامعيه أخفقوا في إظهار نفس اليقظة، فإن حديثه سيغوص في البحر ويتلاشى. لماذا؟ لأنه لم يجد ذهن أحد مستعد لسماع كلامه. لذلك يلزمنا أن نكون يقظين ومنتبهين. إن البضاعة والحمولة التي أتاجر بها تختص بأمور هامة جداً. نحن لا نبحر سعياً وراء الذهب والفضة وأشياء فانية. إن رحلتنا تتطلع إلى الحياة الآتية وكنوز السماء. والطرق التي تقود إليها سنجدها هنا في الكنيسة (وليس في الملاعب وسباقات الخيل والمسابقات والملاهي الدنيوية الأخرى). فضلاً عن هذا سنجد أنها طرق أكثر

من الطرق التي على الأرض وفي البحر.

لكن لو ينقصنا المهارة والمعرفة لتتبع هذه الطرق سنعاني أسوأ الكوارث. لذلك لا ينبغي لمن يسافر معي أن يُظهر الخوف الذي يصدر من الركاب النائمين على ظهر السفينة، بل بالأحرى يلزم أن تظهروا نفس اليقظة والاهتمام الذي يبديه القبطان. فبينما كل الآخرين نيام فإن القبطان يجلس عند ذراع الدفة ويلاحظ بانتباه الطرق التي في المياه ويتطلع إلى السماء التي فوقه وكل الوقت يراقب مسار النجوم كأنها إصبع تشير له إلى الطريق حتى يقود سفينته بأمان.

من ليس له معرفة بالبحر لا يمكنه أن يبحر في وضح النهار بالثقة والسهولة التي يبحر بها القبطان المتمرس في نصف الليل عندما يكون البحر في قمة هياجه. لماذا؟ لأن القبطان يقظ تماماً وفي منتهى الهدوء عندما يمارس مهارته في الإبحار.

إنه يداوم على المراقبة الحريصة والحذرة، ليس فقط لطرق البحر ومسارات النجوم، بل أيضاً لهجمات الرياح. إن حكمة ومعرفة القبطان عظيمان، حتى أنه يحدث مراراً أن هبة الريح الشديدة تضرب سفينته حتى توشك أن تغرقها، إلا أنه بحكمته يُجري تغيير سريع في زاوية الشراع التي لسفينته (فيتفادى الغرق). هو يسابق الريح ويسبقها فيضع نهاية لكل أخطار العاصفة، ويستجمع مهارته ضد عنف عواصف الريح، فينتشل سفينته من (وسط) الزوبعة.

يمكننا أن نرى ونسمع ونشعر بالبحارة الذين يسافرون عبر البحار. ومع أنهم يسعون إلى خيرات هذا العالم، فإنهم يجعلون أذهانهم باستمرار يقظة

ومنتبهة، فكم بالأولى يلزمنا نحن أن نكون مستعدين بنفس الطريقة مثلهم. بالتأكيد إن الإنسان المهمل يواجه خطراً أعظم بينما اليقظ في أمان أكثر. إن سفينتنا ليست مشيَّدة من أخشاب بل هي مرتبطة بشدة ببعضها البعض بالأسفار الإلهية. نجوم السماء لا تقودنا في طريقنا، بل شمس البر يقود سفينتنا في مسارها. وبينما نحن جالسون عند ذراع الدفة، نحن لا ننتظر هبوب الرياح، بل ننتظر النسمة الرقيقة للروح (القدس).

موضوع العظة

لذلك يلزمنا أن نكون يقظين ونداوم المراقبة الحريصة للطرق التي يلزمنا أن نتبعها. أما بقية حديثي فسيختص بمجد الابن الوحيد (الجنس).

لقد برهنت حديثاً أن إدراك جوهر الله يقع خارج متناول حكمة البشر والملائكة ورؤساء الملائكة وفي كلمة واحدة كل الخليقة. وقد أوضحت أيضاً أن الجوهر الإلهي (للآب) معروف جيداً ويدركه بوضوح كل من الابن الوحيد والروح القدس فقط. أما حديثي الآن فسيتجه إلى مرحلة ثانية في صراعي مع الهراطقة. الآن نحن نتساءل إن كان الآب والابن لهما نفس القوة والقدرة، إن كان لهما نفس الجوهر، بل هذا ليس سؤال نسأله، لأننا بنعمة المسيح وجدنا أن هذا حقيقة وتمسكنا بها بشدة، إنما نحن نُعَدّ الآن لنبرهن نفس هذا الشيء لمن يعارضون بوقاحة هذه الحقائق.

بالتأكيد أنا أشعر بخجل عظيم عندما أستعد لمهاجمتهم بحججي. من لا يضحك عليّ لمحاولتي برهنة وإثبات حقائق في منتهى الوضوح؟ لكن أي نوع من الدينونة ينتظر من يتساءل إن كان الابن هو من نفس طبيعة وجوهر الآب؟ إن مثل هذا التساؤل يناقض ليس فقط الأسفار، بل أيضاً الرأي الشائع لدى كل

الناس وهو مضاد لطبيعة الأشياء ذاتها. كون المولود هو من نفس جوهر من ولده، هو أمر حقيقي ليس فقط عند البشر، بل أيضاً عند الحيوانات. ويمكنك أن ترى صدق هذا حتى في حالة الأشجار (التي من نفس النوع).

أليس من السخافة أن هذا القانون يظل ثابتاً للنباتات والحيوانات والوحوش بينما يتغير ويتبدَّل في حالة الله؟ لكن حتى لا يبدو أنني أعمل هذه التأكيدات على برهان مأخوذ من أشياء في عالمنا ذاته، فلأجعل برهاني من الأسفار المقدسة ذاتها ولأبدأ حديثي على هذه المسألة من هذا المصدر. حينئذٍ نحن الذين نؤمن لن نجعل أنفسنا مثار سخرية، بل الذين يرفضون هذا الاعتقاد والتعليم سيكونون مثار احتقار وسخرية لأنهم قاوموا ما هو في غاية الوضوح حتى عندما يتطلعوا إلى الحقيقة في وجهها مباشرةً.

الاعتراض الأول: تسمية السيد المسيح ابن

إنهم يعترضون قائلين: ما هو الذي في غاية الوضوح: إن كان من نفس جوهر الآب لأنه دُعي ابن، إذاً نحن أيضاً يمكننا أن نكون واحد مع الآب في الجوهر، لأننا نحن أيضاً بالتأكيد دُعينا أبناؤه، إذ المزمور يقول: "أنا قلت إنكم آلهة وبنو العليّ كلكم" (مز٢٥: ٦).

آه! كم أنهم وقحين! كم أن جنونهم مطبق! كيف يظهرون بوضوح جنونهم بهذه الطريقة! عندما كنا نبدأ أحاديثنا على عدم إدراك الله (في جوهره)، كانوا يسعون بعناد بالادِّعاء لأنفسهم بما يختص الابن الوحيد فقط ألا وهو أنهم يعرفون الله بالتمام كما يعرف هو ذاته. والآن عندما يختص حديثنا بمجد الابن الوحيد فإنهم يسعون باستماتة إلى إنزاله إلى تفاهة مستواهم ذاته عندما يقولون: نحن أيضاً دُعينا أبناء.

لكن هذه البنوة (بالنعمة) لا تجعلنا من نفس جوهر الله (الآب). لقد دُعيت ابناً أما هو فإنه الابن. بالنسبة لك هي مجرد كلمة (لقب أُسبغ عليك)، بالنسبة له الأمر حقيقي.

لقد دُعيت ابناً، لكنك لم تُدع الابن الوحيد كما دُعي هو. أنت لا تحيا "في حضن الآب" (يو١: ١٨)، أنت لست "بهاء مجده" (عب١: ٣)، أنت لست "رسم جوهره" (عب١: ٣). إذاً إن كان ما قلته في أحاديثي الأولى[٢] لم يقنعك، فلتجعل هذه النصوص تقنعك وبنصوص أكثر منها. فهي تشهد للسمو والرفعة التي تخصه. عندما أراد أن يبين أن جوهره لا يفرِق مطلقاً عن جوهر الآب قال: "الذي رآني فقد رأى الآب" (يو١٤:٩). عندما أراد أن يظهر أن قوته تختلف عن قوة الآخرين قال: "أنا والآب واحد".

عندما أراد أن يظهر أن قوته معادلة لقوة الآب قال: "لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء" (يو٥:٢١). عندما أراد أن يظهر أنه يتلقى عبادة (وإكرام) مماثلة كما الآب قال: "لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب" (يو٥:٢٣).

عندما أراد أن يظهر أن له نفس السلطان على إصلاح وتقويم الناموس (الذي للطبيعة) قال: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو٥:١٧).

لكن الهراطقة يتجاهلون كل هذه النصوص. إنهم لا يفهموا لقب الابن في معناه الأصلي، لأنهم هم أيضاً قد تم إكرامهم بتحيتهم على أنهم أبناء. لذلك هم ينزلون الابن إلى نفس مستواهم الهزيل عند اقتباسهم كلمات المزمور: "أنا

٢- يقصد بها العظات الخمس الأولى التي تحت عنوان "الله لا يمكن إدراكه".

قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم" (مز٨٢:٦). بسبب حقيقة أنه تم تحيتكم (ومناداتكم) على أنكم أبناء، تقولون أن الابن ليس أعظم منكم ولهذا السبب لم يعد ابناً حقيقياً (لله الآب).

إذاً لأنه تم المناداة بكم على أنكم آلهة ربما ستتقسون وتعاندوا على أن الآب (نفسه) ليس أعظم منكم.

لأنه كما أن المزمور دعاكم أبناء، كذلك أيضاً دعاكم آلهة. لكن ولو أنكم دُعيتم آلهة مع ذلك لا تجرؤون على القول بأن الاسم في هذه الحالة ليس فيه اختلاف في المعنى بل توافقون على أن الآب هو إله حقيقي (بينما أنتم على سبيل المشابهة). بنفس الطريقة في حالة الابن، لا ينبغي لكم أن تكونوا من الوقاحة حتى يندفع الواحد منكم قائلاً: أنا أيضاً قد دُعيت ابناً، وحيث أنني لست من جوهر الآب، فلا ينبغي للابن أن يكون من نفس جوهره.

لكن كل هذه النصوص التي عددتها تبين أنه ابن حقيقي ومن ذات جوهر الآب. عندما يقول الابن أنه نفس صورته ورسم جوهره (في٢:٦؛ عب١:٣)، ما يريد أن يبرهنه لنا ليس شيء آخر سوى أن جوهره لا يختلف عن جوهر الآب، لأنه لا يوجد في الله صورة ولا وجه.

الاعتراض الثاني: صلاة يسوع

لكن الهراطقة سيقولون: لقد اقتبست هذه النصوص، والآن اقتبس النصوص التي تبين العكس. أي نصوص تبين العكس؟ نصوص مثل التي تبين أنه يصلي للآب. إن كان له نفس القدرة ومن نفس جوهره ويعمل كل شيء باقتدار فلماذا يصلي؟

ليس فقط سأقتبس تلك النصوص، بل أيضاً سأحرص على أن أعرض كذلك كل النصوص الأخرى والتي تحدَّث فيها بلغة متواضعة ومنخفضة (عمَّا يليق به كإله). لكن يلزمني أن أخبركم أولاً أنه يمكنني أن أعطي أسباباً كثيرة تبرر النصوص التي تحدَّث فيها بطريقة متواضعة (لا تنتظرونها من إله). أما أنتم فلا يمكنكم إعطاء تفسير للنصوص التي تبين سموّه وعظمته سوى أنه أراد أن يبين سموّه ورفعته. إن كان هذا هو الحال، فلن يوجد تناقض ولا تضارب بين الأسفار المقدسة.

إنه قال: "لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء" (يو٥:٢١)، وقال أقوال أخرى اقتبستها من قبل، بل وأيضاً هو صلى عندما كان عليه أن يصلي. وهناك ترون تناقض (في صلاته مع كونه إله)، لكن لو قدمت الأسباب (التي تبرر هذه التصرفات)، ستزول كل أسباب الشكوك.

أول سبب: التجسد

ما هي الأسباب التي لأجلها قال هو عن نفسه وقال عنه تلاميذه أمور منخفضة ومتواضعة (لا تليق بالله) ؟ أول سبب وأيضاً أكثرها أهمية هو أنه تسربل بالجسد وأراد أن كل البشر في تلك الأيام وما يليها من عصور أن يؤمنوا أن ما رأوه لم يكن مجرَّد خيال أو هيئة ظاهرية بل طبيعة حقيقية. والرسل قالوا عنه أشياء كثيرة بشرية خفيضة كما قال هو عن نفسه. وبالرغم من هذا استطاع إبليس أن يقنع بعض البشر التعساء والمستحقي الشفقة على إنكار تدبير الفداء والجسارة على قول أنه لم يأخذ جسداً. وهم بهذا العمل قد جرَّدوه من أساس بشريته بالكامل. (تُرى) لو أن السيد المسيح لم يقل عن نفسه هذه الأشياء البشرية والمتدنِّية كم كان كثيرون هم الذين يقعون فريسة لهذا

ألا تزال تسمع حتى اليوم أن ماركيان وماني وفالنتيان وآخرين كثيرين أنكروا تدبير الفداء في الجسد؟ لهذا السبب قال السيد المسيح عن نفسه أشياء متواضعة وبشرية، أشياء أبعد ما تكون عن جوهره الفائق الوصف. إنه تصرف هكذا ليبرهن ويؤمن على تدبير الفداء. إن إبليس سعى بكل جهده لنزع هذا الإيمان عن البشر، لأنه علم أنه إذا ما لاشى إيمان الإنسان بتدبير الفداء، سيتلاشى معه كل الأشياء التي نتمسك بها على أنها حقيقية.

السبب الثاني: ضعف سامعيه

وبالإضافة إلى هذا السبب يوجد أيضاً سبب آخر وهو ضعف الناس الذين سمعوه. الذين كانوا آنذاك يرونه ويسمعونه لأول مرة لم يمكنهم قبول كلمات تعاليمه الأكثر سمواً. وما أقوله ليس مجرد كلام تخمين وسأحاول أن ابرهن لكم هذا من الأسفار المقدسة ذاتها. سأحوال أن أبين أنه لو كان له أن يقول أي شيء عظيم وفائق ويليق بمجده، لكن لماذا أقول شيئاً عظيماً وفائقاً ويليق بمجده، بل حتى لو كان له أن يقول شيئاً يفوق إدراك الطبيعة البشرية، سينزعج الذين يسمعونه ويتعثروا. لكن لو كان له أن يقول شيئاً خفيضاً وبطريقة بشرية، سيجري الكل إليه ويقبلوا ما قاله.

سيسأل الهرطوقي: أين يمكنني أن أرى هذا؟

يمكنك أن ترى هذا بالذات في إنجيل يوحنا. عندما جاء في إنجيل يوحنا: "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح. فقال له اليهود: ليس لك خمسون سنة بعد. أفرأيت إبراهيم؟" (يو٨:٥٦، ٥٧). هل ترون كيف أنهم

تصرفوا معه كما لو كان مجرد إنسان؟ فماذا قال لهم؟ "الحق، الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن. فرفعوا حجارة ليرجموه" (يو٨: ٥٨، ٥٩). وعندما تحدث مطوّلاً عن الأسرار قال: "الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو٦:٥١)، "فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا: إن هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه؟" (يو٦: ٦٠) وماذا كانت النتيجة؟ "من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه" (يو٦:٦٦).

أخبرني: ماذا كان عليه أن يفعل؟ هل كان عليه أن يضيّع وقته دائماً بالتكلم بكلمات أكثر سمواً فيخيف (أي ينفّر) النفوس التي اجتذبها ويبعد الكل عن تعاليمه؟ هذا أمر لا يتوافق مع محبة الله ورأفته. بالتأكيد عندما قال أيضاً "إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد. فقال له اليهود الآن علِمنا أن بك شيطاناً. قد مات إبراهيم والأنبياء وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد" (يو٨: ٥١، ٥٢). وهل في هذا شيء عجيب أن الجمع كان لهم هذا الشعور، إن كان حتى قادتهم يشاركونهم نفس هذا الشعور؟

كان نيقوديموس نفسه أحد قادتهم وبروح طيبة جاء إلى يسوع وقال له: "نعلم أنك قد أتيت من الله معلِّماً" (يو٣:٢)، لكنه لم يستطع قبول كلمات السيد المسيح عن المعمودية لأنها كانت أقوى جداً من ضعفه. لأن المسيح قد قال "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو٣:٥)، لذلك سقط نيقوديموس فريسة للشكوك البشرية وسأل: "كيف يمكن للإنسان أن يولد وهو شيخ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد" (يو٣:٤). فكيف أجاب المسيح؟ "إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت

لكم السماويات؟" (يو٣:١٢) كل ما فعله المسيح كان تقديم دفاع وشرح لماذا لم يستمر في التحدث عن ميلاده من فوق.

وأيضاً في وقت الصلب ذاته، بعد أن أجرى المسيح معجزات لا حصر لها وبعد أن أظهر قوته بطرق شتى، عندما قال: "من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء" (مت٢٦:٦٤) لم يحتمل رئيس الكهنة ما قاله يسوع ومزَّق ثيابه (انظر مت٢٦:٦٥) فكيف يمكنه أن يكلم من لم يطيقوا أي كلام سامٍ عنه؟ ليس عجيباً أنه لم يقل عن نفسه شيئاً فائقاً أو سامٍ لمن كانوا بهذا الضعف (وكان كل همهم وفكرهم مرتبط بالأرض والأرضيات)[٣]

الحاجة إلى لغة بسيطة

إن ما قلته كافٍ لإثبات أنٍ هذا كان السبب والعذر للكلمات الخفيضة والمتدنية التي قالها بينما كان على الأرض. وسأحاول أن أجعل هذا واضحاً من الناحية المضادة. لقد رأيتم أنه لو قال السيد المسيح أي شيء سام أو عظيم، كان الناس يتعثّرون وينزعجون ويشتموه ويبتعدون عنه ويتحاشوه. والآن سأحاول أن أبيّن أنه لو قال أي شيء متواضع أو عادي فإنهم كانوا يجرون إليه ويقبلون تعاليمه.

في وقت آخر قال السيد المسيح "لست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علّمني أبي" (يو٨:٢٨)، لذلك الذين قبل هذا ابتعدوا عنه جروا إليه في الحال. وحيث أن الإنجيلي أراد أن يُرينا أنهم آمنوا لأن ما قاله يسوع كان

٣- ما أوردته هنا بين قوسين هو بسبب أنني سجلته بتصرف إذ المعنى الأصلي للنص يقول "وكانوا يزحفون على الأرض".

وضيعاً وبسيطاً أعطانا إشارة إلى هذا عندما قال "وبينما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون" (يو٨: ٣٠). ويمكنك أن تجد نفس هذا الشيء قد حدث في أماكن أخرى كثيرة. هذا هو السبب الذي لأجله قال السيد المسيح أشياء بطريقة بشرية محضة وأيضاً لماذا تكلم هو مراراً بطريقة لا تليق بالبشر، بل بما يليق بالله وجدير بسموّه وعظمته.

إنه تحدث كإنسان عندما كان يكيّف نفسه ويتنازل لضعف من يسمعوه، وتحدث كما يليق بألوهيته عندما كان يحرص على إعطاء تقرير سليم ومضبوط عن تعاليمه.

لو كان تكيّفه وتنازله قد تخلل كل ما قاله، كان هذا سيسبب ضرراً لأناس العصور المتأخرة في قبولهم للاهوته (إذ كانوا سيجدون صعوبة في قبوله كإله). لهذا لم يهمل هذا الجزء (لكنيسته القادمة).

فمع أنه قد سبق فرأى أناس عصره لن يصغوا بل سيشتمونه ويحيدون عنه، ومع ذلك تحدث بهذه الطريقة لكي يثبت ذات النقطة التي ذكرتها، ويبين السبب لماذا هو مزج بين الكلمات السامية والوضيعة. وهذا هو السبب أنهم ما كانوا قادرين بعد على قبول الأشياء السامية والفائقة التي كان يقولها.

لو لم يكن هو راغباً ومستعداً لأن يكيّف نفسه، سيكون من العبث أن يعلّم تعاليم فائقة لمن لن ينصتوا وينتبهوا إليها. وحتى لو لم تكن ذات نفع لهم، لكنها أرشدتنا وأعدّتنا لقبول رأي يليق به وأقنعتنا أنه حوّل حديثه إلى مستوى أكثر انخفاضاً لأن أولئك الناس لم يستطيعوا بعد قبول شيء فائق مما كان يقوله.

لذلك عندما تراه يقول أشياء بشرية وخفيضة، فلا تظن أن هذه علامة على

وضاعة جوهره، بل انظر أن هذا تكيُّف وتنازل من جانبه لأن فَهْم سامعيه كان ضعيفاً.

السبب الثالث: لتعليم الاتضاع

هل تريدني أن أعطيك سبباً ثالثاً؟ إنه فعل وقال أشياء كانت وضيعة ومتواضعة ليس فقط لأنه كان متّشحاً بالجسد وبسبب ضعف من سمعوه، بل أيضاً لأنه أراد ممن كانوا يسمعونه أن يكونوا متضعين في قلوبهم وفي أذهانهم، وهذا هو السبب الثالث. لو كان شخص ما يعلّم عن أتضاع القلب، إنه يفعل هذا ليس فقط بما يقوله، بل أيضاً بما يفعله. إنه متضع في القول والفعل. قال السيد المسيح: "تعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب" (مت١١:٢٩).

وأيضاً في موضع آخر قال: "إن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم" (مت٢٠:٢٨). عندما علّمنا أن نكون متضعين وألا نجري أبداً نحو المواضع الأولى، بل في كل حالة أن نقبل كوننا نُعتبر كأقل، وهو أقنعنا بهذا بما قاله وما فعله. وهذا مراراً أعطاه فرصة للتحدث بطريقة متّضعة وأقل مما يليق به كإله.

السبب الرابع: تمايز أقانيم الثالوث

يمكنني أيضاً أن أعطي سبباً رابعاً لا يقل أهمية عن الأسباب التي سبق أن ذكرتها. وما هو هذا السبب؟ إنه لكي يمنعنا من السقوط أبداً في الاعتقاد أنه لا يوجد إلا أقنوماً واحداً في الله بسبب التقارب فائق الوصف بين الأقانيم الثلاثة. ومع أن المسيح نادراً ما قال أي شيء عن مثل هذا الموضوع، لكن بعض الناس قد انحرفوا إلى هذا التعليم الأثيم. عندما سمع سابيليوس السيد

المسيح يقول "أنا والآب واحد" (يو١٠:٣٠)، وقوله "الذي رآني قد رأى الآب" (يو١٤:٩)، خرج باستنتاج وحوَّله إلى أساس أثيم واعتقاد خاطئ بكون الآب والابن كانا أقنوماً واحداً وليس أقنومين متميزين. ليست هذه هي الأسباب الوحيدة. السيد المسيح كان أيضاً يحاول منع أي شخص من الاعتقاد أنه كان الأول وغير مولود وعن الافتراض أنه كان أعظم من الآب الذي ولده.

بالتأكيد واضح أن بولس كان يخشى هذه النقطة ذاتها وهي أن أي شخص ربما في وقت ما يتوهَّم أنه هكذا كان الحال ويتمسَّك بهذا الاعتقاد الأثيم والدنس. لذلك بعد أن قال "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه" (١كو١٥:٢٥)، أضاف بعد ذلك قوله "لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه" (١كو١٥:٢٧)، ثم مضى بعد ذلك إلى القول "واضح أنه غير الذي أخضع له الكل" (١كو١٥:٢٧) وما كان بولس ليمضي إلى الإشارة لهذا الاستثناء ما لم يشعر بالخوف من أنه ربما ينشأ اعتقاد شيطاني بهذا المضمون.

أيضاً مرات كثيرة عندما كان السيد المسيح يحاول أن يخفف ويهدئ من بغضة اليهود تنحى عن سمو ما كان يقوله وكثيراً ما جعل رده في ضوء الأذهان المتشككة لمن كانوا يكلمونه. وهذا كان الحال عندما قال: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً" (يو٥:٣١) وهو تحدث بهذه الطريقة، لأنه كان يسعى لدحض شك اليهود. بالتأكيد هو لم يكن يرغب في إظهار أن شهادته ليست حقاً. ما كان يريد قوله هو هذا: أنتم أيها اليهود تشكون في شهادتي ولا تعتبرونها حقيقية، لأنكم لا ترغبون في قبولي عندما أتحدث عن نفسي.

ويمكننا أيضاً أن نجد أسباب أخرى كثيرة. يمكننا أن نعطي تفسيرات كثيرة لوضاعة وأتضاع كلامه. لكن أريد منكم أيها الهراطقة أن تقدِّموا ولو سبباً

المسيح يقول "أنا والآب واحد" (يو١٠:٣٠)، وقوله "الذي رآني قد رأى الآب" (يو١٤:٩)، خرج باستنتاج وحوَّله إلى أساس أثيم واعتقاد خاطئ بكون الآب والابن كانا أقنوماً واحداً وليس أقنومين متميزين. ليست هذه هي الأسباب الوحيدة. السيد المسيح كان أيضاً يحاول منع أي شخص من الاعتقاد أنه كان الأول وغير مولود وعن الافتراض أنه كان أعظم من الآب الذي ولده.

بالتأكيد واضح أن بولس كان يخشى هذه النقطة ذاتها وهي أن أي شخص ربما في وقت ما يتوهَّم أنه هكذا كان الحال ويتمسَّك بهذا الاعتقاد الأثيم والدنس. لذلك بعد أن قال "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه" (١كو١٥:٢٥)، أضاف بعد ذلك قوله "لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه" (١كو١٥:٢٧)، ثم مضى بعد ذلك إلى القول "واضح أنه غير الذي أخضع له الكل" (١كو١٥:٢٧) وما كان بولس ليمضي إلى الإشارة لهذا الاستثناء ما لم يشعر بالخوف من أنه ربما ينشأ اعتقاد شيطاني بهذا المضمون.

أيضاً مرات كثيرة عندما كان السيد المسيح يحاول أن يخفف ويهدئ من بغضة اليهود تنحى عن سمو ما كان يقوله وكثيراً ما جعل رده في ضوء الأذهان المتشككة لمن كانوا يكلمونه. وهذا كان الحال عندما قال: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً" (يو٥:٣١) وهو تحدث بهذه الطريقة، لأنه كان يسعى لدحض شك اليهود. بالتأكيد هو لم يكن يرغب في إظهار أن شهادته ليست حقاً. ما كان يريد قوله هو هذا: أنتم أيها اليهود تشكون في شهادتي ولا تعتبرونها حقيقية، لأنكم لا ترغبون في قبولي عندما أتحدث عن نفسي.

ويمكننا أيضاً أن نجد أسباب أخرى كثيرة. يمكننا أن نعطي تفسيرات كثيرة لوضاعة وأتضاع كلامه. لكن أريد منكم أيها الهراطقة أن تقدِّموا ولو سبباً

وحيداً لتعاليمه الفائقة غير الذي ذكرته من قبل وهو رغبته في إظهار سموه وعظمته، لكن لا يمكنكم تقديم أي تفسير آخر.

ربما يتحدث الإنسان العظيم عن نفسه كشيء صغير وهذا لن يتضمن اتهاماً أو لوماً، بل هذا يكون علامة على اتضاعه وصلاحه. لكن لو أن شخصاً وضيعاً قال شيئاً عظيماً عن نفسه لن يفلت من الملامة وكلامه هو علامة على الادِّعاء والاحتيال.

لهذا السبب نحن نمتدح من هو سامٍ وعظيم عندما يتحدث عن نفسه بطريقة وضيعة، لكن لا أحد سيمتدح الإنسان الوضيع عندما يتفاخر بأنه أعظم مما هو عليه.

نتيجة هذا هو أنه حتى لو كان الابن أدنى كثيراً من الآب، كما تقولوا أيها الهراطقة، إذاً لا ينبغي له أبداً أن يقول أي شيء ليبرهن على مساواته بالآب، فهذا سيكون نصباً واحتيالاً. لكن حقيقة أن من هو مساو للآب يقول عن نفسه أشياء وضيعة لا يعطينا مبرراً لملامته، بل هذا يجلب له مدحاً عظيماً ويستحق إعجابنا الشديد به.

عودة إلى التجسد

إنني أود أن أجعل ما قلته أكثر وضوحاً وأود أن تعرفوا إنني لن أشرع في مناقضة الأسفار المقدسة. لذلك هلموا الآن ولنأخذ أول الأسباب التي ذكرتها. لنرى أين تحدّث بكلمات لا تليق بكرامة جوهره الإلهي، بسبب أنه أخذ جسداً. وإن أردتم فلنضع أمام أذهاننا ذات الصلاة التي قدَّمها للآب (أثناء كربه الشديد في البستان – انظر مت٢٦:٣٩).

لكن انتبهوا لي بحرص لأني أرغب في سرد الموضوع كله لكم من وجهة نظر

سامية. كان هناك عشاء في تلك الليلة المقدسة التي كان يهوذا مزمعاً أن يخونه فيها. إنني أدعوها ليلة مقدسة بسبب البركات التي لا تُحصى والتي أتت للعالم بموجب تدبير الفداء، وكان منشأها في تلك الليلة. إنه صار في تلك الليلة عندما كان الخائن جالساً مع الأحد عشر، وبينما كانوا هم جالسين إلى العشاء حدث أن السيد المسيح قال "واحد منكم يسلمني" (مت٢٦: ٢١). من فضلكم احتفظوا بهذه الكلمات في أذهانكم، حتى عندما نأتي إلى الصلاة نرى لماذا صلى السيد المسيح على هذا النحو.

لاحظ من فضلك أيضاً العناية المفرطة للرب. فهو لم يقل: يهوذا سيسلمني. إنه لم يجعل تصرف الخائن أكثر خزياً بملامته في وسط الآخرين. بل عندما نُخس يهوذا من ضميره قال: هل أنا هو يا سيد؟ (مت٢٦: ٢٥). قال له المسيح: أنت قلت (مت٢٦: ٢٥). ولا حتى أيضاً في ذلك الوقت سمح المسيح لنفسه أن يصنع اتهاماً محدداً ضد يهوذا، بل جعل يهوذا يُفصح عن إثمه. لكن ولا حتى هذا جعل يهوذا أفضل مما هو عليه. لأنه أخذ اللقمة وبعد ذلك مضى.

بعد أن غادر يهوذا، وجَّه المسيح انتباهه نحو تلاميذه وقال: "كلكم تشكون فيَّ (في هذه الليلة)" (مت٢٦: ٣١). عندما استنكر بطرس هذا وقال "وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً" (مت٢٦: ٣٣). وأيضاً يسوع قال "الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات" (مت٢٦: ٣٤). عندما استنكر بطرس هذا الكلام وأنكر من جديد أنه سيتصرف هكذا، تركه المسيح بمفرده (ليرى عملياً ضعفه في حالة تخلي نعمة الله عنه).

ما كان يسوع يخبره لبطرس هو: "أنت لا تصدِّق ما أقوله وتواصل إنكار كلامي. لكن أفعالك ذاتها ستقنعك أنه يلزمك ألاّ تناقض ربك". وأيضاً أسألكم

أن تتذكّروا من فضلكم هذه الكلمات وتحفظونها في أذهانكم، فاستدعاؤها سيكون مفيداً لنا عندما نفحص صلاة يسوع.

عودة إلى صلاة المسيح

إن المسيح تحدث عن الخائن وسبق فأخبر أن الكل سيهربون وتنبأ بموته ذاته: "مكتوب إني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية" (مت٢٦:٣١). إنه سبق فأخبر عمن سينكره، متى وكم مرة سينكره. وهو قد تنبأ بكل شيء بدقّة. وبعد أن تنبأ عن كل هذه الأشياء كدليل كافي على أنه يعرف تماماً كل ما سيحدث، مضى إلى ضيعة يقال لها جثسيماني ليصلي. إن الهراطقة يقولون إن الصلاة هذه هي صلاة الألوهية (التي هي في نظرهم أقل من ألوهية الآب)، أما نحن فنقول إنها صلاة تدبير الفداء.

إذاً احكموا أنتم ولا تعبّروا - لأجل مجد الابن الوحيد نفسه - عن رأي فيه محاباة. لأنه حتى لو كنت أترافع عن قضيتي أمام أصدقاء فأنا أتوسّل إليكم وأناشدكم أن يكون حكمكم بغير محاباة ولا يكون لأجل الفوز برضائي أو كسب عداوة الهراطقة (لكم).

كون أن هذه الصلاة ليست صلاة اللاهوت فإنه واضح على الأخص من هذا: الله لا يصلي، وعلامة ألوهيته هو عبادة الناس له (والتي من أهم بنودها هو الصلاة له). الله يتقبّل الصلاة ولا يقدِّم صلاة لأحد. وأيضاً لأن الهراطقة في منتهى الوقاحة سأحاول أن أوضح هذا من ذات كلمات الصلاة في أنها تنتمي إلى تدبير الفداء وإلى ضعف المسيح في الجسد. لأنه عندما يقول المسيح شيئاً ما ذا طبيعة خفيضة، فما يقوله هو من الوضاعة والانخفاض حتى أن الاتضاع الفائق لكلماته يمكن أن يقنع من هم في غاية العناد والمنازعين أن

الكلمات التي يقولها تسقط بعيداً عن الجوهر المقدس والذي لا يُنطق به.

إذاً لنعد إلى كلمات الصلاة "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (مت٢٦:٣٦). لنسأل أولئك الهراطقة عن هذه النقطة. ألا يعلم المسيح إن كان الأمر ممكناً أو غير ممكناً؟ قبل هذا بقليل عند العشاء قال "واحد منكم سيسلمني" (مت٢٦:٢١) وقال "مكتوب إني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية" (مت٢٦:٣١)، وقال "كلكم تشكّون فيّ في هذه الليلة" (مت٢٦:٣١).

وعندما كلّم بطرس قال له "أنت ستنكرني" ولم يتوقف عند هذا بل قال له "ستنكرني ثلاث مرات" أما الآن بينما هو يصلي قل لي: ألا يعلم إن كان الأمر ممكن أو غير ممكن؟ من يستطيع أن يقول هذا أياً كانت عقليته؟

لو أتى الوقت الذي فيه لا نبي ولا ملاك ولا رئيس ملائكة سيعرف ما لم يعرفه المسيح لكان يمكن أن يكون أساساً ما للهراطقة المعاندين على ملاججتهم. لكن ما يقولونه من أن المسيح لم يعلم ما هو في غاية الوضوح والجلاء للكل حتى أننا نحن البشر (العاديين) لدينا معرفة دقيقة به. فكيف سيجد الهراطقة عذراً أو مبرراً لتأكيدهم أن المسيح قال "إن أمكن" بسبب أنه في الواقع لم يعلم إن كان ممكناً أو غير ممكن؟

من الواضح أن عبيده الأنبياء لديهم معرفة دقيقة عما أناقشه. إنهم أيضاً علموا أنه سيموت وأن عليه أن يعاني هذا الموت على الصليب. قبل هذا بسنوات كثيرة أوضح داود كلا الأمرين عندما تحدث عن شخص المسيح وقال: "ثقبوا يديّ ورجليّ" (مز٢٢:١٦). وداود صرح بما كان مزمعاً أن يحدث كما لو كان حدث بالفعل. لماذا؟ لأنه كان يبيّن أنه مستحيل لهذا ألا يحدث مثلما هو

مستحيل للشيء الذي حدث بالفعل ألا يحدث. وأيضاً إشعياء سبق فأخبر بنفس هذه الميتة عندما قال "كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها" (إش٥٣:٧). وأيضاً يوحنا (المعمدان) عندما رأى هذا الحمَل قال "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو١:٢٩) وهو قال هذه الكلمات على سبيل النبوة.

لاحظ أن الحمَل لم يُذكر على أنه مجرد حمل، بل قال "حمل الله" لأنه كان يوجد حمَل آخر والذي هو حمَل اليهود (في الفصح)، ويوحنا تكلم بهذه الطريقة ليبين أن الحمَل الذي كان يتكلم عنه هو حمل الله. كان الحمَل اليهودي يُقدّم فقط عن الأمة اليهودية، أما حمَل الله فقدِّم لأجل العالم كله. إن دم الحمَل اليهودي يقدس إلى طهارة الجسد فقط كما في (عب٨:١٣)[٤] أما دم حمل الله فيطهر العالم كله (جسداً وروحاً). إن دم الحمل اليهودي لا يمكنه عمل ما يعمله بذات طبيعته، بل كانت له تلكِ القوة لأنه كان مثالاً لحمل الله.

عودة إلى النقاش على كلمة "الابن"

لذلك أين أولئك الذين يقولون أن المسيح هو ابن ونحن أبناء؟ أين أولئك الذين يحاولون أن يحدروه لأسفل لحالتنا التافهة والوضيعة لأننا نشارك في نفس اللقب؟ انظر! أنت تسمع حمَل وحمَل، نعم اسم واحد لكلاهما، لكن فرق لا نهائي بين طبيعتهما. عندما تسمع هنا تسمية مشتركة لا تجعل أي فكر للتساوي يدخل إلى ذهنك. لذلك عندما تسمع ابن وابن في هذا النص لا تجذب لأسفل إلى حالتك الوضيعة الابن الوحيد الجنس. لكن لماذا يلزمني أن أتحدث

٤- ما ورد من كلام شاهده عب٨:١٣ ليس هو في صلب النص إنما تم التغيير هنا لغموض النص الأجنبي

عما تم برهنته؟ لو أن هذه الصلاة صنعها لاهوته، سينكشف أن المسيح يهاجم ويناقض ويحارب ضد نفسه. لأن الذي قال في هذه الصلاة "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس" (مت٢٦:٣٩)، لأنه أحجم عن وتحاشى الآلام، كان هو نفس المسيح الذي قال في موضع آخر أنه يلزم لابن الإنسان أن يُسلّم ويُجلد.

آنذاك بعد أن سمع بطرس يقول له: "حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا" (مت١٦:٢٢). اعترض السيد المسيح بشدة على هذا حتى قال "اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (مت١٦:٢٣).

فمع أنه قبل فترة قليلة مضت امتدح بطرس ودعاه مطوّباً، أما الآن فيدعوه شيطاناً. والمسيح لم يعمل هذا ليهين بطرس. وما رغب في إظهاره بهذه الإهانة هو أن بطرس لم يتكلم من قلبه. في الواقع إن ما قاله بطرس كان مخالفاً وغريباً عليه حتى أن السيد المسيح لم يتردد في أن يدعوه شيطاناً حتى لو كان هو بطرس.

أيضاً في موضع آخر قال المسيح: "شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم" (لو٢٢:١٥). فلماذا قال هو "هذا الفصح" مع أنه في مرات غيرها احتفى معهم بهذا العيد؟ لماذا إذاً؟ لأن الصليب كان يلي هذا الفصح. وأيضاً قال: "أيها الآب مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً" (يو١٧:١).

بالتأكيد في مواضع كثيرة نجده ينبئ عن الآلام راغباً في حدوثها وقائلاً أن هذا هو السبب الذي لأجله جاء إلى العالم (انظر يو٣:١٦، ١٧). فكيف أنه في صلاته يقول: "إن أمكن؟" إنه هنا يظهر الضعف الذي ينتمي إلى الطبيعة البشرية، فالطبيعة البشرية تفضّل ألا تُنزع من الحياة الحاضرة وتجفل وترتد من الموت. لماذا؟ لأن الله قد غرس في الطبيعة البشرية حُب لحياة هذا العالم

(وإلا ما كان أسهل على الإنسان أن ينهي حياته بنفسه لأتفه الأسباب).

وحتى بعد أن قال المسيح أقوالاً كثيرة من هذا النمط، لا يزال البعض لديهم الجسارة ليؤكِّدوا أن المسيح لم يأخذ جسداً، فما الذي كان سيجرؤون على قوله لو لم يقل المسيح شيئاً من هذا النوع؟ هنا لدينا السبب لماذا في تلك الأماكن التي تنبأ فيها عن آلامه ورغب في حدوثها، إذ كان يتكلم كإله، لكن كإنسان فإنه يتحاشاها ويصلي لكي يتفاداها. لكنه (من ناحية أخرى) يظهر لنا أنه مضى طواعية إلى آلامه عندما قال: "لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها. ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي" (يو١٠:١٨).

فكيف أنه قال: "ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (مت٢٦:٣٩)؟ ولماذا تتعجب إن كان هو قبل الصلب كله اشتياق لإعطاء ضمان أن جسده كان جسداً حقيقياً؟ بل حتى بعد القيامة عندما رأى التلميذ الذي شك، لم يمانع في أن يريه جروحه وعلامات أثر المسامير وأخضع مواضع الجروح للمس اليد. وهو في الحقيقة قال: "جسّوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لو٢٤:٣٩).

حقيقة التجسد

لهذا السبب هو من البداية ذاتها لم يأخذ ناسوتاً ناضجاً بل سمح لنفسه أنه يُحبل به ويولد ويرضع اللبن. وهو أمضى وقتاً طويلاً في هذا العالم حتى يبرهن أنه كان (له) جسداً حقيقياً عن طريق طول أيامه على الأرض وبكل وسيلة أخرى. إن الملائكة ظهروا كثيراً على الأرض في هيئة إنسان وكذلك الله بالمثل، لكن ظهورهم لم يكن في جسد حقيقي، بل كان على سبيل التكيّف والتنازل.

لكي يمنعك من الظن أن مجيئه للأرض كان تكيّفاً مثل أولئك وليعطيك أسباباً مؤكّدة للتيقن أن جسده كان جسداً حقيقياً، لهذا السبب حُبل به وولد ورضع من الثديين. ولكي يكون ميلاده ظاهراً ويصير معلومة عامة، تمت ولادته في مزود وليس في حجرة خاصة بل في موضع (عام) أمام جمع من الناس. هذا كان السبب للأقماط وأيضاً للنبوات التي قيلت عنه من قبل بفترة طويلة.

إن النبوات أظهرت أنه ليس فقط كان مزمعاً أن يكون إنساناً، بل أنه أيضاً سيُحبل به ويولد مثل أي طفل آخر. إن إشعياء صرّح بهذا عندما قال: "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل. زبداً وعسلاً يأكل" (إش٧: ١٤، ١٥). وأيضاً نفس النبي قال: "يولد لنا ولد ونُعطى ابناً" (إش٩: ٦). هل ترى كيف أن هذه النبوات أنبأت بطفولته؟

لذلك اسأل الهراطقة هذه الأسئلة: هل الله يخاف؟ هل هو يتردد ويجفل؟ هل يشعر بالألم؟ لو أجابوا بالإيجاب ابتعد عنهم واجعلهم يقفون بجانب الشيطان، بل في موضع أعمق في جهنّم عما للشيطان. لأنه ولا الشيطان سيجروؤ على قول هذا. لكن لو قالوا أن ليس شيئاً من هذه المشاعر يليق بالله، إذاً أخبرهم أنه ولا حتى المسيح صلى كإله.

وأيضاً لو أن كلمات صلاة المسيح هي كلمات إلهية محضة[٥]، فهناك سخافة أخرى تتضمنها. لأن الكلمات لا تفصح فقط عن صراع (جهاد) بل تشير

٥- وردت العبارة هنا "كلمات الله" في النص الأصلي ولكني جعلتها هكذا، لأن ما يقصد القديس يوحنا ذهبي الفم هو أنه هنا عبَر عن مشاعر الناسوت وأكد به حقيقة تجسده ولم يقل ما قاله بكونه الله غير المتجسد.

إلى مشيئتين تعارضان الواحدة الأخرى، واحدة للابن والأخرى للآب. وكلمات المسيح: "ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" هي كلمات من يجعل هذا واضحاً. لكن هؤلاء الهراطقة لا يقرّون بهذا أبداً. عندما نثابر على اقتباس النص "أنا والآب واحد" (يو١٠:٣٠) بخصوص قوته، يداومون على قول أن هذا قيل من جهة المشيئة لأنهم يؤكّدون أن مشيئة الآب والابن هما واحد.

لكن لو أن مشيئة الآب والابن هما واحد، فكيف أن المسيح قال في هذا النص: "ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت". لأنه لو أن هذه المقولة قيلت من جهة ألوهيته لوجد تناقض وسخافات كثرة تنشأ منها. لكن لو قيلت في جسده، تكون هذه المقولة معقولة ولا يوجد فيها أساس للملامة أو التبكيت. لو أن الجسد لم يرغب في الموت فلا ملامة عليه، إذ هو يتحاشى الموت بحسب طبيعته (التي غُرس فيها حب هذه الحياة).

والمسيح أعطى أدلّة كثيرة من كل وجه من أوجه طبيعته البشرية عدا الخطية. وهو فعل هذا لكي يسد أفواه الهراطقة:

لذلك عندما قال: "إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (مت٢٦:٣٩) فهو لا يظهر شيء آخر سوى أنه متشح بالجسد وإن الجسد يخاف الموت. لأن هذه من مميزات الجسد أنه يخاف الموت ويجفل منه ويجاهد ضده. وهو ترك جسده في ذلك الوقت مهجوراً وعادماً من كل قوة إلهية ليظهر ضعفه ويؤكد طبيعته. وفي أوقات أخرى هو أخفاها لكي تعلم أنه ليس مجرّد إنسان.

لو أنه لم يُظهِر مطلقاً إلا كل ما هو لائق بالإنسان، لاعتقد الناس أنه كان مجرد إنسان. لو أنه لم يُتم فقط إلا ما هو لائق بلاهوته، ما كان أحد أبداً

سيؤمن بتدبير الفداء. لهذا السبب هو مزج ونوّع كلماته وأفعاله.

إنه لم يرغب في إعطاء أي عذر أو حجة لجنون بولس الساموسطي (الذي أنكر لاهوت السيد المسيح واعتبر أنه مجرد إنسان) وماركيان وماني. لهذا السبب هو كإله أنبأ بكل ما سيحدث وكإنسان جفل منه.

إنني أود أن أعبّر أيضاً على كل الأسباب الأخرى. أود أن أظهر من أفعاله ذاتها أنه كما في هذه الحالة أظهرت صلاته ضعف الجسد، كذلك أيضاً في مواضع أخرى هو صلى لكي يصحح ويقيم ضعف سامعيه. يلزمنا ألا نظن أن كل شيء قاله بطريقة بشرية، قيل فقط بسبب أنه كان متشحاً بالجسد البشري، فهو أيضاً تحدث بهذه الطريقة بسبب الأسباب الأخرى التي ذكرتها. لكن لكي لا تغرق كثرة المواضيع التي لا يزال علينا أن نناقشها ولا تدمر الأشياء الكثيرة التي قد قلتها، سأنهي حديثي ضد الهراطقة وسأرجئ ليوم آخر ما أريد أيضاً أن أقوله ضدهم، وسأعود الآن لأحضّكم على الصلاة.

امتداح الصلاة

حقيقي إنني كلمتكم مراراً على هذا الموضوع، لكن لا يزال هناك احتياج للكلام عنها في هذا الوقت أيضاً. إن الملابس التي ننقعها في الصبغة لمرة واحدة لها لون سهل زواله. تلك الملابس التي ينقعها الصباغين مراراً ويسحبونها من الإناء تحتفظ ببهاء هذا اللون بدون تغيير.

هذا أيضاً يحدث حينما يختص الأمر بنفوسنا. عندما نسمع نفس الكلمات مرة ومرات غيرها، نقبل التعليم، وكمثل الثياب المنقوعة في الصبغة، لا نلفظ التعليم بسهولة.

لذلك ليتنا لا ننصت كما لو كانت كلماتي تافهة أو عرضية. لا يوجد شيء له قوة كبيرة أو أكثر قوة من الصلاة. إن الملك المتشح بالثوب الأرجواني ليس أبداً في روعة الإنسان الذي بسبب أنه يصلي، يتحلى (بل ويتجلى) بحديثه مع الله. لنفترض أن الجيش كله حاضر وأيضاً قواد كثيرون في الجيش وموظفي الدولة الكبار والحكام. ولنفترض في تلك اللحظة أن شخصاً ما تقدم وتحادث سراً مع الملك. فإنه يجعل كل العيون تنظر له ويجعل كل شخص يعتبره جديراً بأعظم احترام. بالتأكيد نفس الشيء يسري على من يصلّون.

فانظر كم هو شيء عظيم سيكون هذا عندما يكون الملائكة حاضرين ومعهم رؤساء الملائكة والسيرافيم والشاروبيم وكل القوات السماوية، وإذ الذي هو مجرد إنسان يمكنه أن يتقدم وبثقة عظيمة يمكنه أن يتحادث مع ملك تلك القوات السماوية. أية كرامة تماثل هذه الكرامة العظيمة؟ ليس فقط الكرامة بل أعظم منفعة يمكن أن تأتينا من الصلاة حتى قبل أن نحصل على طلبنا. بمجرد أن الإنسان يرفع يديه نحو السماء وبمجرّد أن يدعو (باسم) الله، في الحال يتخلّى عن الأمور الدنيوية. وهو مضى بذهنه إلى الحياة الآتية ولذلك يتفكر في الأمور السماوية. وليس له شيء مشترك مع حياة هذا العالم طالما هو يصلي وطالما أن صلاته تُقدم باجتهاد واعتناء.

آنذاك حتى لو اضطرم الغضب فيه، فبسهولة يبرد. لو التهب فيه الهوى، في الحال ينطفئ. لو التهمنا الحسد، فليس من العسير صرفه بعيداً. نفس الشيء يحدث والذي قال النبي بحدوثه عند شروق الشمس. فماذا قال: "تجعل ظلمة فيصير ليل. فيه يدب كل حيوان الوعر.

الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من السله طعامها. تشرق الشمس فتجتمع وفي مأويها تربض" (مز١٠٤: ٢٠-٢٢).

إذاً عند شروق الشمس كل حيوان مفترس يُطرد يُربض في مأواه. كذلك أيضاً عندما تنطلق الصلاة – مثل شعاع شمس – من ألسنتنا وتخرج من فمنا، يستنيرُ ذهننا وكل الأهواء الوحشية التي تلاشي إدراكنا تبتعد وتأوي إلى مأواها فقط في حالة أن صلاتنا تكن باجتهاد وآتية من نفسٍ يقظة وذهنٍ صاحٍ. حتى لو كان الشيطان حاضراً فإنه يهرب عندما نصلي، حتى لو كان إبليس هناك، فإنه يفرّ بعيداً (وسريعاً).

عندما يتحدث سيد مع عبده، لا يجرؤ أي عبد آخر على مخاطبة السيد وقطع المحادثة مهما كانت دالته وحريته في الكلام، فكم بالأولى من أساءوا إلى الله وعدموا هذه الحرية لا يمكنهم أن يزعجوننا عندما نتحادث مع الله ونظهر له الاحترام اللائق به.

بالتأكيد إن الصلاة هي ميناء لمن هم في العاصفة، هي مرساة لمن تعصف بهم الأمواج، هي عصا لمن يتعثر. الصلاة هي كنز للفقير، آمان للغني، شفاء للمريض، حماية لمن هم في صحة جيدة. إنها تحفظ نعمنا غير منتهكة وتحوّل بسرعة أمراضنا (شرورنا) إلى خير. لو أتت التجربة من السهل طردها (بالصلاة). لو أصابنا فقدان المقتنيات أو أيٍ من الأشياء التي تسبب الحزن لنفوسنا، سريعاً تدفعه الصلاة بعيداً عنا. الصلاة هي ملجأ من كل حزن، أساس للابتهاج، وسيلة للفرح المتصل، أصل لفلسفتنا[٦] وطريق للحياة.

حتى لو كان الإنسان الذي يمكنه الصلاة باجتهاد متجرِّداً (أي عادماً) من كل شيء فهو أغنى من أي شخص آخر. لكن من سُرِق ومحروم من الصلاة،

٦– الفلسفة بالمعنى المسيحي هي العقيدة السليمة والطريقة المسيحية في الحياة والتي في الغالب تكون مصحوبة بالتقوى.

فحتى لو جلس على ذات عرش الملك فهو أفقر من أفقر إنسان. ألم يكن آخاب ملكاً وخزائنه فيها ذهب وفضة يفوقان الوصف؟ لكن حيث أنه لم تكن له صلاة، مضى في البحث عن إيليا وهو الإنسان الذي ليس له معطف يلبسه ولا مسكن يقيم فيه. كل ما كان له هو رداء من جلد الغنم. أخبرني يا آخاب ماذا يعني هذا؟ أنت لديك مخازن كثيرة وتفتّش عن إنسان ليس لديه شيء؟

فيجيب آخاب: نعم، لأن ما فائدة كل مخازني لي إن كان هذا الإنسان قد أغلق السماء (حتى لا تمطر) وجعل كل مقتنياتي عديمة الفائدة؟ هل ترون كيف كان إيليا أغنى من آخاب؟ إن الملك وكل جيشه كانوا في أسوأ احتياج حتى تكلم إيليا.

يا له من شيء عجيب! ليس لديه معطف إلا أنه أغلق السماء. إنه أغلق السماء لهذا السبب عينه وهو لأنه لم يكن يملك معطفاً. لأنه لم يمتلك شيئاً هنا على الأرض، لهذا السبب عينه هو أعطى برهاناً على قوته العظيمة. لأنه بمجرّد أن فتح فمه تسبب في كنوز لا تُحصى من البركات أن تنزل من السموات. يا لهذا الفم الذي بداخله ينابيع المطر! يا لهذا اللسان الذي يجعل زخات المطر تسقط! يا لهذا الصوت الذي يعج بنعم لا حصر لها!

لنحيل أعيننا باستمرار إلى هذا الإنسان الذي كان فقيراً ومع هذا كان غنياً، الذي كان غنياً (بالروح) لأنه كان فقيراً (بالجسد). لذلك ليتنا نحتقر أمور هذه الحياة ونتوق إلى أمور الحياة الآتية، لأنه بهذه الطريقة سنفوز بكل الخيرات التي هنا وهناك.

ليتنا كلنا نقتني هذه البركات بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين .. آمين.

العظة الثانية

بالأمس[1] نحن رجعنا من الحرب، من حرب ومعركة مع الهراطقة، وتلطّخت أسلحتنا بالدماء، (إذ) سيف حديثي كان أحمر ومصبوغاً بالدم. نحن لم نضرب أجسادهم بل فنّدنا حججهم وهدمنا "ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله" (٢كو٥:١٠). لأن مثل هذا هو نوع المعركة ولذلك طبيعة الأسلحة هي هكذا. إن بولس علّمنا عن هاتين النقطتين عندما قال "إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله" (٢كو١٠: ٤، ٥).

من المناسب أن نذكر أيضاً الأسلاب ونكبات الحرب التي حدثت بالأمس. على الأقل سيفيد من كانوا غير حاضرين هنا، لو أعطينا تقريراً عن خطوط المعركة والصراع والنصر وهزيمة العدو. لكني لا أرغب في أن أجعلكم أكثر تراخياً، لذلك سأعبر على هذا التقرير على رجاء أن من لم يحضروا بالأمس يشعروا بهذه الخسارة ويصيروا أكثر اشتياقاً أيضاً لسماع ما سأتحدث فيه اليوم. لو أي شخص ممن كانوا غائبين بالأمس متلهفاً ويقظاً، يمكنه أن يعرف ما قلته ممن كانوا حاضرين بالأمس.

بالتأكيد أن الذين سمعوني أظهروا مثل هذا الحماس ولم يمضوا إلى بيوتهم إلا بعد أن أصغوا لكل كلمة أقولها ولم يدَعوا شيئاً مما قلته يفلت منهم. لذلك ستعرفون منهم ما قد قلته، أما ما سأقوله اليوم سأخبركم به بنفسي وسأضع أمامكم الاعتراض الذي قدمه ضدي أبناء الهراطقة. فما هو هذا الاعتراض؟

١- من الواضح أن هذه العظة أُلقيت ثاني يوم العظة السابقة.

طريق تفسير

بالأمس كنت أناقش قوة الابن الوحيد وأظهرت أنه قوته مساوية لقوة الآب الذي ولده وقلت لكم كلمات كثيرة على هذا الموضوع.

ومع أنهم كانوا مذهولين ومُفحمين بالحجج التي قدمتها، فإنهم قدّموا لي الآن نص إنجيلي في موضع آخر، نص يظنون فيه أيضاً أن المسيح تكلم بمعنى مناقض، ورفعوا اعتراضهم بقولهم: في الواقع إنه مكتوب: "وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعدَّ لهم من أبي" (مت٢٠:٢٣).

مرة أخرى أُعطي اجتماعكم الحبيب نفس النصيحة التي أعطيها دائماً. اليوم أنا أحذركم وأنصحكم ألا تمضوا فقط لما هو مكتوب بل تفتشوا عن معنى ما قيل. لو أن إنساناً شغل نفسه فقط بالكلمات، لو لم يفتش فيما كُتب سيقع في أخطاء كثيرة. الكلمات المكتوبة تقول أن الله له جناحين عندما يقول النبي: "بظل جناحيك استرني" (مز١٧: ٨).

لكن لن نقول لأجل هذا أن جوهر الله الروحي غير الفاني له أجنحة. إن كان لا يمكننا أن نقول هذا عن البشر، فكم بالأولى لا يمكننا أن نقول هذا عن طبيعة الله غير المدركة وغير المرئية والنقية.

فبماذا نفهم الأجنحة؟ هي المعونة، الأمن، المأوى، الدفاع، المعونة غير المقهورة التي يعطيها الله لنا.

أيضاً يتكلم الكتاب عن الله كنائم عندما يقول المزمور: "استيقظ لماذا تتغافى (أي تنام) يا رب" (مز٤٤:٢٣). إنه لا يقول هذا لكي يجعلنا نظن أن الله ينام، فهذا سيكون منتهى الجنون. بكلمة "تتغافى" يظهر المزمور صبر الله

واحتماله من نحونا. وقال نبي آخر: "لن تكون كإنسان نائم. هل تكون؟" (ار١٤: ٩ بحسب السبعينية)[٢]

ألا ترى إننا نحتاج لمعونة عظيمة لفهمنا وعقلنا عندما نفتش في خزانة الأسفار المقدسة؟ لو أصغينا للكلمات فقط، إن لم نفكر في الكلمات إلا على ما هي فيه (أي حرفياً) ليس فقط ستنشأ تلك السخافات، بل أيضاً سنرى تضارباً كثيراً فيما قيل. واحد يقول أن الله ينام وغيره يقول إنه لا ينام. مع ذلك فكلا المقولتان صحيح لو فهمنا الكلمات بطريقة مضبوطة. الذي يقول أن الله ينام يشير إلى صبر الله واحتماله والذي يقول إن الله لا ينام يوضح أن طبيعة الله طاهرة ونقية. حيث أننا نحتاج لمعونة كثيرة من ذهننا وفهمنا، ليتنا لا نأخذ ببساطة بمعنى واحد (حرفي) هذا القول: "ليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعدّ لهم من أبي" (مت٢٠:٢٣). هذا القول لا ينزع قوة المسيح ولا يزيل سلطانه، بل يظهر عنايته العظيمة وحكمته وبصيرته من جهة جنسنا البشري.

لبرهان أنه رب ويمكنه تحديد عقوبة أو إكرام، اسمع لما قاله هو نفسه عندما فاه هذه الكلمات: "متى جاء ابن الإنسان في مجده، يقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا المُلك المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين على النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته. لأني جعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني. كنت غريباً فلم تأووني" (انظر مت٢٥:٣١-٤٣). هل رأيت دينونته الكاملة وكيف يعطي الإكرام والدينونة؟ هو يستطيع أن يكافئ بالأكاليل ويستطيع أن يفتقد

٢- جاءت في النص البيروتي العبري: "لماذا تكون كإنسان قد تحير".

بالانتقام. البعض يقودهم إلى الملكوت والبعض الآخر يرسلهم على جهنّم.

لكن لاحظ العناية العظيمة التي يظهرها لنا هنا. عندما كان يتحدث لمن سينالون الأكاليل قال: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ منذ تأسيس العالم" (مت٢٥:٣٤)، لكنه لم يقل لمن سيتم معاقبتهم "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لكم" بل قال "المعدّة لإبليس وملائكته" (مت٢٥:٤١). ما يقوله هو هذا: إنني أعددت الملكوت للبشر، لكن لم يقل للبشر أنني أعددت جهنم، بل أعددتها لإبليس وملائكته. لو أظهرتم بحياتكم التي تحيونها أنكم تستحقون العقوبة والانتقام سيكون من العدل أن تطبّقوا هذه العبارة على أنفسكم. وانظر كم هو عظيم ميله لإظهار حبه للبشر. فمع أنهم لم يدخلوا بعد حلبة الصراع، فإن الأكاليل أُعدّت مقدماً والجوائز جُهزت للفائزين. لأنه قال "رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم" (مت٢٥:٣٤).

مثل العشر عذارى

ويمكنك أن ترى شيئاً ما مثل هذا في مثل العشر عذارى. عندما أوشك العريس على الوصول قالت الجاهلات للحكيمات "أعطيننا من زيتكن" (مت٢٥:٨)، لكن الحكيمات قالت "لعلّه لا يكفي لنا ولكنْ" (مت٢٥:٩). لكن الكتاب هنا لا يتكلم عن الزيت أو لهيب المصباح، بل هو يتكلم عن البتولية والمحبة لرفيقنا (في العبودية). إنه يضع البتولية في موضع لهيب المصباح والصدقة في موضع الزيت. إن الكتاب يفعل هذا ليبين أن البتولية لها احتياج شديد لمحبة رفيقنا (في العبودية) ولا يمكنها أن تدرك الخلاص بدونها.

لكن من هم الذين يبيعون الزيت؟ لا أحد سوى الفقراء، لأنهم يعطون أكثر مما يأخذون. بالتأكيد يلزمك ألا تظن أن إعطاء الصدقة للفقراء هو إنفاق

(وتبذير) بل هو مصدر للدخل (للربح). ليست الصدقة هي تبديد للمال بل هي عمل مفيد. لأنك تسترد أكثر مما تأخذ. أنت أعطيت خبزاً وأخذت حياة أبدية. أنت أعطيت رداءً (مادي – فاني) وأخذت رداء الخلود. أنت أعطيت الفقير أن يشاركك بيتك وأخذت ملكوت السموات. أنت منحت أشياء تفنى ونلت أشياء تبقى إلى الأبد.

لكن ربما من يقول: كيف أعطي صدقة وأنا فقير؟ عندما تكون فقيراً فأنت أكثر من أي شخص آخر يمكنك أن تعطي صدقة. لأن الغني سكران بفيض ثروته، لأنه مريض بحمى شديدة جداً، لأنه ممسوك برغبة لا تشبع فهو دائماً يريد أن يزيد مقتنياته. أما الفقير هو خالٍ من هذا المرض وطاهر من هذا الداء. لذلك سيعطي بسخاء أكثر مما له.

إن كم المال لا يسبب من ذاته إعطاء صدقة، لكن كم النيّة الحسنة يفعل. عندما ألقت الأرملة التي نعرفها جيداً الفلسين في بيت الخزانة، فهي فاقت (في عطائها) كل الذين كانوا يفتخرون بثروتهم. والأرملة الأخرى استضافت تلك النفس السامية (إيليا) بقبضة دقيق وقليل زيت (١مل١٧:٨–١٦). إن الفقر لم يثبت جدارته كعائق في حالة هاتين الأرملتين. فلا تصنعوا حججاً فارغة وباطلة. الله لا يطلب المساهمة بمبلغ كبير بل يطلب ثروة النية الحسنة (وهي أمر في مقدور كل إنسان). إن روح الصدقة لا تظهر بقدر ما أُعطي، بل برغبة (استعداد) من يعطوا.[٣]

هل أنت فقير وأحنى الدهر عليك أكثر من أي إنسان آخر؟ بالتأكيد أنت لست

٣– ولنا دليل على هذا في قصة الغني ولعازر (لو١٦:١٩–٣١) فالغني لم يُدان لعظم ثروته بل لعدم رغبته في إشراك من هم في احتياج في هذه الثروة.

معوزاً أكثر من الأرملة التي فاقت الأغنياء وتفوقت عليهم جداً. هل أنت في عوز إلى الخبز الضروري للأكل؟ بالتأكيد أنت لست في احتياج أعظم من أرملة صرفة صيدا. لقد سقطت في أقصى أعماق الجوع وكانت تتوقع أن تموت حالاً (١مل١٧:١٢). إن جمع أولادها وقفوا حولها[٤]، لكن ولا حتى في هذه الظروف ترددت في إعطاء ما تملك. ومع هذا فبفقرها المدقع اشترت ثروة عظيمة. فهي حوّلت قبضة الدقيق إلى بيدر دقيق وقليل الزيت إلى خزانة زيت، والقليل الذي لها جعلته يتدفق بفيض.

عودة إلى مثل العشر عذارى

لكن لنوقف استطرادنا المتواصل ونعود إلى موضوعنا. عندما أوشك العريس على المجيء، كانت العذارى تتكلم مع بعضهن البعض، وأرسلت العذارى الحكيمات الجاهلات لباعة الزيت، لكن الوقت كان متأخراً جداً لابتياع زيت. وهذا شيء معقول جداً. فالباعة موجودين فقط في الحياة الحاضرة. بعد رحيل الإنسان من هذه الحياة وتفرق رواد المسرح، لا يمكن للمرء أن يجد علاجاً لما قد حدث (في حياته الأرضية). لا يوجد هناك عفو أو تبرير لأي شيء حدث، بل على كل مدى الحياة الآتية يلزم للإنسان (المخطئ) أن يدفع العقوبة.

وهذا ما حدث في وقت العرس. عندما أتى العريس دخلت العذارى الحكيمات لأن مصابيحهن كانت مضاءة، أما الجاهلات فأتين متأخرات. وعندما أُغلقت أبواب حجرة العرس سمعن تلك الكلمات الرهيبة: "اذهبن بعيداً عني، إني ما أعرفكن" (انظر مت٢٥:١٢).

٤- لم يذكر الكتاب أن لها أبناء كثيرون، بل فقط ابن وحيد وهو الذي أقامه لها إيليا النبي عندما مات.

ألا ترون هنا أيضاً أنه يكافئ بالإكرام ويحدد العقوبة، إنه يعطي أكاليلاً وينتقم، إنه يرحب أو يرسل بعيداً إذ أنه سيد كلا النوعين من الدينونة؟ يمكنك أن ترى هذا أيضاً في مثل الكرم (مر١٢:١-٩) وفي مثل الوزنات. العبدان اللذين ربحا خمس وزنات ووزنتين، رحّب بهما سيدهما وأقامهما على أشياء أكثر أهمية، لكنه أمر أن يلقى العبد - الذي أخفى وزنته في الأرض - إلى الظلمة الخارجية بعد أن يُربط.

منطق الخصوم (الهراطقة)

لكن ما هذه الملاججة الماكرة لأولئك الهراطقة؟ بل ما هذه الملاججة التي هي ممتلئة بالجنون؟ الهراطقة يقرّوا أن المسيح يقول إن لديه القوة لمنح الأكاليل والمعاقبة والانتقام وإعطاء المكافآت. لكن بعد ذلك يضيفوا أن المسيح قال أيضاً أنه لم يكن بمقدوره أن يعطي أعلى موضع للكرامة وأسمى مجد. لكن لو تعرفون أيها الهراطقة أن شيئاً لم ينتقص من قوته على الدينونة، فلماذا لا تضعوا جانباً العناد غير اللائق الذي لكم؟

أنصتوا للمسيح أيضاً عندما يقول: "الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو٥:٢٢). لذلك لو كان له كل الدينونة، فلا شيء قد أُنتقص من قوته على الدينونة. الذي له كل الدينونة له كل القوة لإعطاء الأكاليل لكل من يستحقون الأكاليل ومعاقبة كل من يستحقون العقاب.

لا ينبغي لاجتماعكم الحبيب أن يفهم الكلمات "قد أعطى" (يو٥:٢٢) بأي معنى بشري. الآب لم يُعط الابن ما لم يكن له بالفعل، فالآب لم يلد ابناً غير كامل، والابن لم يُضاف إليه شيء بعد ولادته (من الآب). إن الكلمات "قد أعطى" تعني هذا: الآب ولد الابن مثله تماماً، أي كاملاً وتاماً.

إن الإنجيلي قد استخدم هذا التعبير حتى لا تظنوا أن إلهين قد ولدا بل لكيما تروا كلاً من الأصل والثمرة، ولكي لا تظنوا أن قوة الدينونة قد أُضيفت للابن بعد ولادته. عندما سُئل الابن في موضع آخر: "أفأنت ملك" (انظر يو١٨: ٣٣)، لم يجب: "أنا نلت مملكة"، لم يقل أن المملكة أُعطيت له بعد ولادته، بل قال: "لهذا قد ولدت أنا" (يو١٨: ٣٧). لو هو ولد ملك كاملاً وتاماً، من الواضح أيضاً أنه قاضي وديّان. لأنه من العلامة الخاصة للملك أنه يتخذ قرارات وأحكام سواء للعقوبة أو الإكرام.

تطبيق المنطق (الحجة) على حالة بولس

و(هناك) مصدر آخر يمكن أن يساعدكم على رؤية أن لديه القدرة على منح الكرامات السماوية. لذلك سنقدم الإنسان الذي هو أفضل كل البشر، وسنظهر أن المسيح منح هذا الإنسان إكليلاً. حينئذٍ أي عذر سيكون لكم أيها الهراطقة لتنكروا مستقبلاً أن المسيح له هذه القدرة على المكافأة؟

من هو الذي أفضل[٥] من كل البشر؟ من هو سوى صانع الخيام ذاك، معلّم كل المسكونة، الذي جال عبر البحر والأرض كما لو كان له أجنحة، الإناء المختار، خادم المسيح العريس، من غرس الكنيسة، البنّاء الحكيم، الكارز، الذي أكمل السعي وجاهد الجهاد الحسن، الجندي، مدرِّب المصارعين، الذي ترك تذكارات لفضيلته ذاتها في كل موضع في العالم، الذي اختُطف إلى السماء الثالثة قبل قيامته (في اليوم الأخير)، اختُطف إلى الفردوس وشارك في أسرار

٥- بحسب الإنجيل ورأي الرب يسوع يكون يوحنا المعمدان هو أعظم مواليد النساء، ولكن من لا يعرف كم يهيم القديس يوحنا ذهبي الفم بشخصية بولس الرسول، والذي هو فعلاً شخص جدير بكل إعجاب وهيام.

الله التي لا يُنطق بها وسمع وتكلم بمثل الأشياء التي لا يمكن للطبيعة البشرية أن تتفوه بها واستمتع بنعمة أغنى وأظهرها في أتعاب كثيرة جداً. ولكي تعلم أنه تعب أكثر من كل الباقين اسمعه عندما يقول: "أنا تعبت أكثر منهم جميعهم" (١كو١٥:١٠). لكن لو هو قاسى أتعاب أكثر من الكل، سينال إكليل أعظم. "كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" (١كو٣:٨). إن كان سينال إكليل أعظم من الرسل الآخرين، فمن الواضح أنه سيستمتع بأسمى شرف وامتياز.

ومن الذي سيكلله؟ اسمعه عندما يقول: "قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل" (٢تي٤:٧، ٨). و"الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو٥:٢٢). ومن الواضح أن الابن سيكلله ليس فقط من هذا النص، بل من النص الذي ذكرته قبله "وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً" (تابع ٢تي٤:٨) ومن هذا الذي يأتي؟ اسمعه عندما يقول: "قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس. معلّمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقّل والبر والتقوى في العالم الحاضر. منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح" (تي٢:١١-١٣).

رد السيد المسيح على طلب ابني زبدي

إن معركتنا ضد الهراطقة قد أتت إلى نهايتها. لقد رفعنا تذكار انتصارنا لهزيمتهم وقد أحرزنا الفوز. لقد أثبتنا من كل ما قلنا أن المسيح له القدرة على الثواب والعقاب، لأن له كل الدينونة، لأنه كلل الإنسان الذي هو أفضل من كل الآخرين، لأنه صرّح بأن بولس منتصر. وهو أيضاً أعطى كرامات وحدّد العقوبات في تلك الأمثلة التي أشرت إليها.

الآن يلزمنا أن نطرد كل الانزعاج والشك من أذهان إخوتنا ونعلّمهم لماذا المسيح قال: "ليس لي أن أعطيه" (مت٢٠:٢٣) لأني أظن أن كثير منكم يجدون صعوبة في هذه الكلمات. لذلك لإزالة مصاعبكم ولتهدئة الاضطراب (الحادث) في نفوسكم، اجعلوا أذهانكم مستعدة وانتبهوا لما أقوله. وأنا أيضاً يلزم أن أعمل باجتهاد أكثر. لأن شن الحرب والتعليم ليسا متشابهين ولا هو سهل أن يقوّم الإنسان أخيه كسهولة جرح العدو (بالسيف).

في مهمة التعليم والتقويم يلزمني أن أجتهد بالأكثر حتى لا أغفل العضو الذي هو أعرج ولا أعبر (دون انتباه) على القلب المضطرب. إنني أخبركم ألا تنزعجوا أو تضطربوا لما أقوله، لأنني مزمع أن أؤكد أن إعطاء موضع في الملكوت ليس هو امتياز (موقوف على) الابن ولا هو امتياز للآب.

وأنا أُصرّح بصوت أعلى وأوضَح من صوت البوق أنه ليس للابن أن يعطي ولا للآب. لأنه لو كان للابن سيكون أيضاً للآب أن يعطي. لهذا السبب لم يقل المسيح فقط: "ليس لي أن أعطيه" بل ماذا قال؟ "ليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعدّ لهم" (مت٢٠:٢٣). إنه يظهر أنه أمر لا يختص بالابن ولا بالآب بل لآخرين.

عودة إلى بداية قصة ابني زبدي

فماذا تعني الكلمات؟ أظن أن انزعاجكم قد زاد ونفوسكم لا تزال أكثر اضطراباً وضيقاً. لكن لا تخافوا، لأنني لن أتوقف حتى أعطيكم الحل. لذلك اصبروا معي بينما أرجع (إلى الوراء) قليلاً في نقاشي. إن لم أفعل هذا لا يمكنني تثبيت كل شيء بوضوح في أذهانكم. فماذا تعني الكلمات؟

إن أم ابني زبدي تقدمت مع ابنيها يعقوب ويوحنا عند اقترابه من أورشليم

وقالت له: قل أن يجلس أبناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار (في ملكوتك)" (مت٢٠:٢١). وإنجيلي آخر قال إن الابنين أنفسهما طلبا من المسيح هذا الطلب (مر١٠:٣٥-٤٠). لكن لا يوجد أدنى تناقض بين الروايتين مع أنه يلزمنا ألا نعبر (دون انتباه) حتى لهذه الأشياء البسيطة. إن الأخوين أرسلا أمهما قبلهما، وبعد أن فتحت الأبواب ومهّدت الطريق وتكلمت لأجلهم، حينئذٍ قدما طلبتهما وقالا هذه الكلمات ولو أنهما لم يفهما ماذا يعني طلبهما.

إنهما كانا رسولين ولكنهما لا يزالان آنذاك بعيدين عن الكمال. إنهما كانا مثل صغار الفراخ في عش والتي لم ينبت ريشها ويتقوى بعد. ويلزمكم أن تفهموا أنه قبل الصلب كان يوجد الكثير الذي لا يعرفانه. لهذا السبب وبّخ المسيح تلاميذه (عموماً) قائلاً: هل أنتم أيضاً حتى الآن غير فاهمين؟ كيف لا تفهمون أني لست عن الخبز قلت لكم أن تتحرزوا من خمير الفريسيين؟[٦] وفي وقت غيره قال: "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" (يو١٦:١٢).

ليس فقط هم أخفقوا في فهم الأمور السامية بل مراراً بسبب خوفهم وجبنهم نسوا ما سمعوه. إنه وبّخهم لأجل هذا عندما قال: "ليس أحد منكم يسألني أين تمضي. لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم" (يو١٦:٥-٦) وأيضاً عندما كان يكلمهم عن المعين (الروح القدس) قال: "يعلّمكم كل شيء ويذكّركم بكل ما قلته لكم" (يو١٤:٢٦). وما كان سيقول لهم "يذكّركم بكل ما قلته لكم" ما لم يكونوا قد نسوا كثيراً مما قاله.

٦- جمع ذهبي الفم هنا بين مت١٦:٦؛ ١٦:١١، و لو١٢:١ توضح أن خمير الفريسيين هو الرياء. لكن النقطة الرئيسية هنا هي نقص فهم التلاميذ.

لست أقول هذه الأشياء اعتباطاً. إنني أقولها لأن بطرس ذات مرة صرّح بوضوح بإيمان تام، لكن أيضاً في وقت آخر بنفس الوضوح نسى كل شيء. مرة قال: "أنت هو المسيح ابن الله الحي" (مت١٦:١٦) ودُعيّ مطوّباً لأجل هذه الكلمات. بعد ذلك بقليل اقترف الخطية التي دُعي لأجلها شيطاناً. لأن المسيح قال (له): "اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (مت١٦:٢٣).

من لا يكون أقل كمالاً من الذي لا يحكم بحسب مقاييس الله بل بحسب مقاييس البشر؟ كان المسيح يكلم بطرس عن الصليب والقيامة، لكن بطرس أخفق في فهم عمق كلمات المسيح وسر تعاليمه والخلاص الذي سيأتي إلى العالم. لذلك أخذ المسيح جانباً وسراً قال له: "حاشاك يا رب. لا يكون لك هذا!" (مت١٦:٢٢).

هل ترون كيف أنهم بمنتهى الوضوح لم يفهموا شيئاً عن القيامة؟ إن الإنجيلي أشار إلى هذا الأمر عينه عندما قال: "لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون أنه ينبغي أن يقوم من الأموات" (يو٢٠:٩). حتى إن أخفقوا في فهم هذا، فهم كانوا في جهل أعمق كثيراً في أشياء أخرى مثل ملكوت السموات التي تم اختيارهم كباكورة (انظر ٢تس٢:١٣) وصعوده إلى السموات. إنهم كانوا لا يزالون قابعين على الأرض وعاجزين بعد عن التحليق في الأعالي.

كان هذا هو الفهم الذي لهم. إنهم توقّعوا أن الملكوت سيأتي له في الحال في أورشليم، لأنه لم يكن لديهم إدراك أفضل عما يكون ملكوت السموات في حقيقته. وإنجيلي آخر أشار إلى هذا عندما قال أنهم ظنوه كملكوت أرضي. إنهم كانوا يتوقعونه أن يدخل ملكوته وليس أن يمضي إلى الصليب والموت.

حيث أنهم لم يحصلوا بعد على معرفة واضحة ودقيقة على تعاليمه، لذلك ظنوا أنه كان ماضياً إلى هذا الملكوت المرئي وسيملك ويحكم في أورشليم. لذلك قاطعاه ابني زبدي في الطريق، لأنهما ظنا أنهما وجدا اللحظة المناسبة فتقدما بطلبهما إليه. إنهما عرجا (وخرجا) عن جمع التلاميذ وكما لو أن كل الموقف قد تحوّل بالضبط كما يريدان، لذلك سألا عن امتياز المقاعد الأولى وأن يكونا الأوّلين بين الآخرين. إنهما سألا لأجل هذا، لأنهما ظنا أن كل شيء قد انتهى وأن العمل كله (المختص بفترة الإعداد) قد انتهى وتم. إنهما تقدما بطلبتهما لأنهما ظنا أن الوقت الآن للأكاليل والمكافآت.

لكن طلبهما أظهر كم أنهما كانا في غاية الجهل. هذا ليس تخمين من عندي، ولا حقيقته تتوقف على كم معقولية قَولي له. لإظهار أن هذا حقيقي دعوني أقدم دليلاً من يسوع نَفسه الذي يفهم ما هو سري وخفي.

رد يسوع لابني زبدي

اسمع لما قاله بعدما تقدما بطلبهما: "لستما تعلمان ما تطلبان" (مت٢٢:٢٠). أي دليل يمكن أن يكون أوضح من هذا؟ هل ترون كيف أنهما لم يفهما ما كانا يسألان لأجله عندما كانا يحادثانه عن الأكاليل والمكافآت وامتياز الكراسي الأولى والكرامات حتى قبل أن يبدأ النزال (الجهاد)؟

إن المسيح كان يشير إلى شيئين عندما قال: "لستما تعلمان ما تطلبان" (مت٢٠:٢٢) واحدة كانت أنهما كانا يتكلمان عن الملكوت (الأرضي) وأنه لم يقل شيئاً عن هذا. لم يكن هناك أي إعلان أو وعد عن هذا الملكوت المرئي على الأرض. الشيء الآخر كان أنه عندما طلبا في هذا الوقت امتياز الكراسي الأولى والكرامات السماوية، عندما رغبا أن يتم رؤيتهما أكثر شهرة وعظمة أكثر من

الآخرين، لم يكونا يسألان عن هذه الأشياء في الوقت المناسب بل في وقت غير مناسب على الإطلاق. لأن هذا الوقت لم يكن الوقت المناسب للأكاليل والمكافآت، بل كان وقت الجهاد والأتعاب والعرق وحلقات المصارعة والمعارك (الروحية).

إذاً هذا هو معنى الكلمات "لستما تعلمان ما تطلبان". أنتما كنتما تتكلمان عن هذه المكافآت حتى قبل أن تعانيا أي أتعاب ولا تجردتم للجهادات. بينما العالم لا يزال في احتياج للتقويم، بينما الوثنية لا تزال في أوج قوتها، بينما كل البشر كانوا يتحطمون (من قبل الشياطين) فأنتما لم تبدأ بعد تلاحمكما من بوابة الانطلاق. إنكما لم تتجردا بعد لحلقة المصارعة.

"أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي اصطبغ بها أنا؟" (مت٢٠:٢٢). هنا المسيح كان يدعو عملية صلبه وموته كأس وصبغة (معمودية). إنه دعا صليبه كأساً، لأنه كان آتياً إليه بمسرّة، ودعا موته صبغة (معمودية) لأن بواسطته سيطهّر العالم. ليس فقط لأجل هذا السبب أنه دعا موته صبغة، بل أيضاً بسبب السهولة التي سيقوم بها ثانيةً. لأنه كما أن من يعتمد في الماء بسهولة يقوم بسبب أن طبيعة الماء لا تضع أي عائق، كذلك أيضاً المسيح بسبب أنه مضى إلى الموت، قام بسهولة أعظم. وهذا هو السبب لماذا دعا موته معمودية (أو صبغة).

إن ما يعنيه المسيح بسؤاله هو هذا: "هل يمكنكما أن تُذبحا وتموتا؟ لأن الآن هو الوقت المناسب لهذه الأشياء، أي للموت والأخطار والأتعاب".

ماذا كان ردهما؟ إنهما أجابا "نستطيع" (تابع مت٢٠:٢٢) رغم أنهما لم يعرفا معنى سؤاله. مع ذلك فهما وعدا أنه يمكنهما أن يفعلا هذا بسبب أنهما

كانا يأملان في المكافأة. قال لهما المسيح: "أما كأسي فتشربانها وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان" (مت٢٠: ٢٣). وهو بهذه الكلمات يقصد الموت. وهذا تحقق لأن يعقوب قُطعت رأسه بالسيف ويوحنا مات مرات كثيرة (بالعذابات والاضطهادات). لكن "الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعدّ لهم" (مت٢٠: ٢٣).

ما يقوله هو هذا: ستموتان وتُذبحان وتفوزا بإكليل الاستشهاد، لكن لن تكونا في الكراسي الأولى، فليس لي أن أعطي هذا، فذاك شيء يخص من يجاهدوا باجتهاد أكثر ونشاط أعظم.

مثال مأخوذ من الحياة العملية

لكي أجعل ما أقصده أوضح، لنفترض أن إنساناً ما حكم في المباريات. ولنفترض أن أماً لها ابنان دخلا في المباريات. لنفترض أن الأم أخذت ابنيها للحكم وقالت له: آمر أن أبني ينالان الجائزة.

فبماذا يجيب الحكم؟ سيجيب نفس الإجابة وهي أنه ليس لي أن أعطي. وهو يقول (أيضاً): "أنا حكم ولا أتخذ قراراتي على سبيل المحاباة ولا لأن الناس تقدم أو تطلب مني (ما تريده). إنني أوزع الجوائز بحسب نتائج المباريات". وهذه فوق كل شيء علامة على أنه حكم صالح، فهو ليس فقط لا يوزّع الجوائز عشوائياً، بل يمنحها إكراماً منه للشجاعة (التي يبديها المتسابقون في المباراة). وهذا هو ما يفعله المسيح. إنه لا يتكلم بهذه الطريقة لينتقص من جوهره، بل هو يتكلم كمن يوضح أنه ليس له فقط أن يعطي، بل هو (أمر يتوقف أيضاً) على (قدرة) المتسابقين في الأخذ.

لو كان الأمر يتوقف عليه فقط، لكان كل البشر قد خلصوا وأقبلوا إلى معرفة الحق (انظر ١تي٢:٤). لو كان الأمر يتوقف عليه فقط، لما وجد هناك فرق في الإكرام. لأنه خلقنا ويشعر باهتمام متساوٍ للكل.

لكن هناك فروق في المجد. اسمع لما يقوله بولس وكيف هو يوضح هذا: "مجد الشمس شيء ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر. لأن نجماً يمتاز عن نجم في المجد" (١كو١٥:٤١). وأيضاً "إن كان أحد يبني على هذا الأساس ذهباً، فضة، حجارة كريمة... " (١كو٣:١٢). إن بولس يتحدث بهذه الطريقة ليوضح تنوع الفضيلة. وهو أيضاً قال هذا ليوضح أنه مستحيل لمن هم نيام وفي نعاس (عميق) أن يدخلوا ملكوت السموات. فتلك الجائزة ينبغي الفوز بها عن طريق أتعاب كثيرة.

لأن يعقوب ويوحنا كانا يستمتعا بحب فائض ودالة أمام الله، ظناً أنهما سينالا كرامات أخرى إضافية. لأن المسيح رغب في منع البشر من أن يصيروا أكثر إهمالاً وتكاسلاً من حيث أنهم كانوا يتوقعون كرامات إضافية، فإنه قادهم بعيداً عن هذا الظن الخاطئ عندما قال "ليس لي أن أعطيه" لكن لكم أن تأخذوا إذا أظهرتم الرغبة في التصرف هكذا. إنه قال هذا لكي تظهروا اجتهاداً أكثر وأتعاباً أوفر وحماساً زائداً. إنه كان يقول: أنا أمنح الأكاليل للأفعال وأعطي الأمجاد للأتعاب وأكافئ من يعرق. إن أقوى دليل في نظري هو الذي يأتي من الأعمال.

الحاجة إلى الجهاد لنوال الملكوت

هل ترون أنه لم يكن يتكلم عبثاً عندما قال أنه أمر لا يختص به ولا للآب بل لمن يتبارون في المسابقات، لمن كانوا يتعبون ويعانون المصاعب؟ لهذا

السبب هو قال لأورشليم: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا؟ هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً" (لو١٣: ٣٤، ٣٥). هل ترون أنه مستحيل لمن هو كسول ومتراخي وبليد، لمن هو نائم ومستلقي على ظهره أن يخلص أبداً؟

من هذا نتعلم أيضاً حقيقة أخرى وسرية. الشهادة ليست كافية لإعطاء أعلى إكرام أو أرفع مواضع الامتياز. أنتم ترون كيف أن المسيح أنبأ يعقوب ويوحنا أنهما سيشهدان له إنما لن يحصلا أبداً على المواضع الأولى. لأنه بالتأكيد يوجد بعض ممن يمكنهم أن يظهروا أنهم صنعوا أشياء أعظم. إن المسيح أوضح هذا عندما قال: "أما كأسي فتشربانها وبالصبغة التي أصطبغ بها تصطبغان، وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه".

بالتأكيد المسيح ليس له بشر يجلسون بجانبه. وما يتحدث عنه هو الاستمتاع بالإكرام الأعظم، الحصول على المواضع الأولى، أن يكون الإنسان أعلى من كل الآخرين. إنه يتكلم عن الجلوس عن يمينه أو يساره، لأنه كان يتنازل ويكيّف نفسه لما يظنوا أنه هو الحال (الموجود فيه). لأنهما كانا يسعيان للمواضع الأولى وأن يتم رؤيتهما أعظم من كل الآخرين.

هذا هو نفس الشيء الذي يقوله المسيح. الشهادة بمفردها لا يمكنها أن تجعلكما تظهران أعظم من الباقين وفي موضع أعلى من كل الآخرين. ستموتان (لأجلي) لكن بالنسبة للاستمتاع بأعلى إكرام، فليس لي أن أعطيه، فهذا أمر يختص لمن قد أُعدَّ لهم.

أخبرني لمن أُعدَّ هذا؟ لنرى من يكون هؤلاء المطوبين جداً. لنرى من هم الذين يستمتعون بهذه الأكاليل اللامعة. فمن يكونون هم ولأي أعمال صنعوها

فظهروا في مثل هذا المجد البهي؟ لنسمع لما يقوله المسيح.

دعوة إلى التواضع

إن التلاميذ العشرة قد اغتاظوا لأن يوحنا ويعقوب زاغا عن بقية المجموعة وطلبا أن يتوّجا نفسيهما بأعلى الأمجاد. انظر الآن كيف صحح المسيح اغتياظ العشرة وطموح الاثنان. إنه دعاهم وقال: "رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. من أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن آخر الكل" (انظر مت٢٠:٢٥-٢٧).

هل ترون أن هذا ما كان يعقوب ويوحنا يريدانه وهو أن يكونا في المركز الأول والأعلى والأعظم – وإن جاز لي أن أقول يسودان على بقية التلاميذ؟ لهذا السبب أخذ المسيح موقفاً ضدهم وأظهر طموحهما الخفي عندما قال: "من أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً" (مت٢٠:٢٧).

ما يريد أن يقوله هو هذا: إن رغبتما في امتياز الموضع الأول وأعلى مجد، اطلبا الموضع الأخير، اطلبا أن تكونا أقل أهمية عن الكل، أكثر اتضاعاً، وأقل جدارة، وأن تعدّا نفسيكما دون (تحت) الآخرين. هذه هي الفضيلة التي تعطي هذا الإكرام. ولنا أعظم مثال مفيد في العدد الذي يلي حيث يقول المسيح: "لأن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم، بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مر١٠:٤٥؛ مت٢٠:٢٨).

وما يقوله هو هذا: يمكنكما أن تريا أن ما يجعل الناس أكثر مجداً وعظمة هو أن يتواضعوا. وإن تطلعتما إلى ما حدث لي فمع أنني لست بحاجة إلى الآلام والمجد (انظر عب٢:٧، ٨)، لكنني بتواضعي أتممت أعمالاً حسنة لا تُحصى. لأنه

قبل أن يضع نفسه ويصير إنساناً هلك كل شيء وباد، لكن بعد تواضعه، مجّد كل الأشياء (إذ أن التجسد وتدبير الفداء جدد وجه الأرض). إنه محا اللعنة وانتصر على الموت وفتح الفردوس وقتل الخطية وفتح قباب السماء على مصراعيها، ورفع باكورتنا إلى السماء وملأ العالم كله بالصلاح، وطرد الخطأ وأعاد الحق وجعل باكورتنا تصعد إلى العرش الملكي (الإلهي). وهو أتم أعمالاً حسنة كثيرة حتى أنه يستحيل عليّ أو على كل الناس أن يصفوها بالكلمات لكم.

لكن قبل أن يضع نفسه (أي قبل التجسد)، فقط الملائكة عرفته، لكن بعد أن وضع نفسه عرفته كل البشرية. (ها) أنتم ترون كيف أن وضاعته لنفسه لم تجعله أقل (في القدر) بل أثمرت فوائد لا حصر لها وأعمالاً فاضلة بلا عدد وجعلت مجده يلمع ببهاء أعظم. الله لا يحتاج لشيء وليس في احتياج لشيء. لكن عندما وضع نفسه، أثمر مثل هذا الخير العظيم وزاد من (عدد) خاصته ووسع ملكوته.

فلماذا تخشى أنك ستصير أقل لو واضعت نفسك؟ لو واضعت نفسك ستصير أكثر مجداً، ستصير عظيماً وشهيراً، ستصير ذا سمعة حميدة من كل جانب. لكن هذا سيتحقق فقط عندما تقنع بأن تصير أقل وتواجه الأخطار وأن تُسلّم للموت. ينبغي أولاً أن تسعى لأن تخدم وأن تعتني وتهتم بكل الناس. لو ستصير ممجداً بتواضع نفسك، يلزمك أن تكون مستعداً لعمل ومعاناة كل شيء.

حث أخير

تأملوا هذا يا أحبائي، وبعد ذلك لنعدّ أنفسنا تماماً لملاحقة الاتضاع. عندما نهان ويُبصق علينا، عندما نتعرض لكل مذلة، عندما نُحتقر ويُزدرى

بنا، لنحتمل كل هذا ونكون سعداء. لا شيء أبداً يشابه فضيلة الاتضاع في جعلنا نتمجد ونفوز بالإكرام والشرف وإظهارنا كعظماء. ليته يحدث لنا أن نفلح في اقتناء هذه الفضيلة في كمالها حتى نحصل على البركات الموعودة بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والإكرام والسجود مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور .. آمين.

العظة الثالثة

حديث على موت لعازر لمدة أربعة أيام

مقدمة

اليوم يعطينا لعازر الذي أُقيم من الأموات الحل لكثير من المشاكل المختلفة لكن النص الذي قُرأ (قصة إقامة لعازر) بطريقةٍ ما يعطي أيضاً للهراطقة فرصة للملاججة ويعطي اليهود حجة لمقاومة موقفنا. لكن ملاججتهم ومعارضتهم ليست قائمة على الحق - حاشا لله! - بل ناشئة من نفوسهم الخبيثة.

اعتراض الهراطقة

لأن كثير من الهراطقة يقولون أن الابن ليس مثل الآب. لماذا؟ فيجيبوا: لأن المسيح احتاج للصلاة لإقامة لعازر، ولو لم يُصلّ لما أقام لعازر من الموت.

وهم يقولون (أيضاً): كيف أن من يصلي يكون مثل من تُقدم له الصلاة؟ لأن الابن قدم الصلاة، لكن الآب قبل صلوات ابنه المتضرع (إليه). لكن ملاججتهم هي بالحق تجديف، لأنهم لا يفهمون أن المسيح صلى على سبيل التنازل والتكيّف لضعف من كانوا حاضرين (آنذاك).

أخبروني عن هذا: أيهما أعظم؟ هل الذي يغسل الأقدام أم الذي تُغسل له القدمين؟ بالتأكيد لن تقولوا أبداً أن الذي يغسل هو أعظم من الذي غُسلت له قدميه.

لكن مخلصنا غسل قدمي يهوذا، لأن يهوذا كان ضمن بقية التلاميذ. فأيهما كان أعظم؟ هل كان يهوذا الخائن أعظم لأن المسيح سيده غسل قدميه؟ حاشا لله! لكن أيهما عمل أتضاعي أكثر؟ هل هو غسل الأقدام أم تقديم صلاة؟ ما من شك أن غسل الأقدام هو عمل اتضاعي أكثر. إن كان المسيح لم يتراجع عن عمل المهمة الأكثر اتضاعاً، فكيف يتراجع عن عمل ما هو أكثر سمواً؟ كل شيء عمله المسيح عُمل بسبب ضعف اليهود الذين كانوا حاضرين وسأبرهن على هذا مع تقدم حديثي.

اعتراض اليهود

وبالتأكيد اليهود أيضاً أخذوا حجة من هذه الحادثة ليعارضوا موقفنا. لأنهم يتساءلون: كيف يعتبر المسيحيون هذا الإنسان على أنه الله بينما هو لم يعرف حتى الموضع الذي كان يرقد فيه لعازر الميت؟

نعم المخلّص بالحق سأل أختي لعازر، مرثا ومريم: "أين وضعتموه.. ؟" (يو١١:٣٤). لذلك يقول اليهود: هل ترون أنه لم يعرف الموضع؟ هل ترون ضعفه؟ هل هذا الإنسان هو إله؟ إنه لا يعرف حتى الموضع (الذي دُفن فيه لعازر)!.

سأتناقش معهم ولو أني غير متفق معهم فيما يقولونه. سأخبرهم (بالردود) لأني أرغب في دحض اعتراضهم.

أنتم أيها اليهود تقولون إن المسيح لم يعلم الموضع، لأنه قال: "أين وضعتموه؟" (يو١١:٣٤). إذاً فالآب في الفردوس أخفق أيضاً في معرفة أين كان آدم مختبأ. لأن الآب جال كما لو كان يبحث عن آدم في الجنة. وبعد ذلك

قال: "آدم، أين أنت؟" (انظر تك٣:٩) كما لو كان يسأل: أين أخفيت نفسك؟ لماذا لم يذكر الله أولاً الموضع حيث اعتاد آدم أن يتقدم إليه بدالة ويتحادث معه؟ "آدم أين أنت؟" وماذا قال آدم؟ "سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان فاختبأت" (تك٣:١٠). إن دعوتم هذا أيها اليهود جهلاً، إذاً ادعوا أيضاً سؤال المسيح جهلاً. إن المسيح بالفعل سأل النسوة اللاتي كن مع مرثا ومريم: أين وضعتموه؟ لكن هل تدعون هذا جهلاً؟

فماذا ستقولون عندما تسمعون الله يسأل قايين: "أين هابيل أخوك؟" (تك٤:٩). ماذا ستقولون؟ إن دعوتم هذه خطأ جهلاً من جانب الآب، إذاً ادعوا سؤال المسيح خطأ جهلاً.

شهادة الكتاب

اسمعوا لبرهان آخر من الأسفار المقدسة. قال الله لإبراهيم: "صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً. أنزل وأرى هل فعلوا هذا بالتمام حسب صراخها الآتي إليّ وإلا فأعلم" (تك١٨:٢٠، ٢١).

الله الذي يعلم كل الأشياء قبل حدوثها، الله فاحص القلوب والكلى (مز٧:٩)، الذي يعرف أفكار الإنسان (مز٩٤:١١) هو الإله وليس سواه الذي قال "أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إليّ وإلا فأعلم" (تك١٨:٢١). إن كان هذا يعني أن الله (الآب) لا يعرف، إذاً فسؤال المسيح يعني أنه لم يعرف. لكن لا الآب في العهد القديم كان جاهلاً ولا أيضاً المسيح أخفق في أن يعرف في العهد الجديد. فماذا يقصد الآب عندما قال: "أنزل وأرى هل فعلوا هذا بالتمام حسب صراخها الآتي إليّ وإلا فأعلم؟"

إن ما يقوله الآب هو هذا: إن تقريراً قُدّم لي، لكنني أرغب أيضاً في فحص هذا الخبر بتدقيق أكثر في ضوء الحقائق. لست أعمل هذا لأني لا أعلم. إنني أعمل هذا لأني أرغب في أن أُعلّم البشر ألا يلتفتوا إلى الكلمات فقط ولا يصدقوا الكلمات بطياشة، لو قالها واحد ضد الآخر. ينبغي للناس أن يصدقوا ما سمعوه، فقط بعد أن يكونوا قد تحرّوه بدقة وتملّوا جيداً في الدليل في ضوء الحقائق. لهذا السبب قال الله في نص كتابي آخر "لا تصدق كل كلام" (سير١٩:١٥). لأن لا شيء هكذا يفسد حياة الناس مثل الإنسان الذي يصدق بسرعة كل ما يقال له (دون فحص وتحقيق). إن داود النبي كان يعلن رؤيا إلهية عندما قال "الذي يغتاب قريبه سراً كنت أطارده" (مز١٠١:٥).

ها أنتم ترون أنه لم يكن هناك خطأ الجهل في المخلّص عندما قال: "أين وضعتموه؟" (يو١١:٣٤)، ولا كان هناك أي نقص في معرفة الآب عندما قال لآدم: "أين أنت؟" (تك٣:٩) ولا عندما قال لقايين: "أين هابيل أخوك؟" (تك٤:٩)، ولا عندما قال: "أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إليّ، وإلا فأعلم" (تك١٨:٢١).

دحض الاعتراض الأول

ألا يحين الوقت الآن لنصطف ضد من يقولون أنه كان من خلال الضعف أن المسيح صلى أولاً وبعد ذلك أقام لعازر من الموت؟

أيها الأحباء أتوسل إليكم أن تنتبهوا جيداً لي. إن لعازر مات والمسيح لم يكن هناك بل كان في الجليل. وهو قال لتلاميذه: "لعازر حبيبنا قد نام" (يو١١:١١). ولأنهم ظنوا أنه كان يتكلم عن نوم لعازر بالمعنى الحرفي، قالوا له: "إن كان قد نام فهو يُشفى" (يو١١:١٢). لذلك أخبرهم يسوع علانية: "لعازر

مات" (يو١١:١٤). وبعد ذلك مضى المخلّص إلى أورشليم إلى الموضع حيث دُفن لعازر. وجاءت أخت لعازر لملاقاته وقالت له: "يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي" (ع٢١).

لو كنت ههنا! يا امرأة إنك ضعيفة (في الإيمان)!

لم تكن مرثا في تلك اللحظة تعرف أنه حتى لو لم يكن المسيح موجوداً بالجسد في الموضع، فإنه كان موجوداً بقوة لاهوته (الكائن في كل مكان). لكنها كانت تقيس قوة المعلّم بحضوره الجسدي. لهذا السبب قالت مرثا له: "يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي". لذلك السبب مضت بعد ذلك إلى قول "لكني الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه" (ع٢٢). لذلك كان إجابةً لطلبها أن المخلّص صلى. لأن الله في غير احتياج إلى الصلاة ليقيم إنساناً ميتاً. إنه قد أقام آخرين من الموت. أليس كذلك؟ عندما كان عند بوابة المدينة وقابل الميت المحمول إلى الدفن، فإنه بمجرد أن لمس النعش أقام الميت (انظر لو٧:١١-١٥). وأيضاً في موضع آخر قال كلمة وحيدة للصبيّة الميتة، إذ قال لها: "طليثا قومي الذي تفسيره يا صبية لك أقول قومي" (مر٥:٤١). وردها إلى والديها في صحة جيدة. إنه لم يكن في احتياج إلى الصلاة في ذلك الوقت. هل كان في احتياج للصلاة؟

القوة العجائبية للتلاميذ

لكن لماذا أتحدث عن السيد؟ حتى تلاميذه بكلمة واحدة استعادوا الحياة للميت. ألم يُقِم بطرس طابيثا من الموت بكلمته؟ (انظر أع٩:٣٦-٤١). ألم يُجْرِ بولس معجزات كثيرة بلمس ردائه؟ واسمع الآن ما هو أعظم في عدم التصديق أكثر من الآيات والعجائب. إن ظِلّ الرسل أقام الموتى. لأن الكتاب يقول: "إنهم

كانوا يحملون المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونها على فرش وأسرّة حتى إذا جاء بطرس يخيّم ولو بظلّه على أحد منهم وفي الحال كانوا يقومون" (أع٥:١٥) فماذا؟ هل ظِلّ التلاميذ يقيم الميت والمعلم يحتاج إلى صلاة لإقامة الميت؟ لكن المخلّص صلى بسبب ضعف المرأة، لأن مرثا قالت له: "يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي. لكني الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلبه من الله يعطيك الله إياه" (ع٢١، ٢٢). لذلك كأن المسيح قال: مرثا أنت سألت للصلاة وأنا سأصلي. إن النبع أمامك ومهما كان حجم الإناء الذي يحضره الإنسان سيمتلئ إلى آخره. لو كان الإناء كبيراً، سيأخذ ماء كثيراً، ولو كان الإناء صغيراً سيأخذ قليل ماء.

لذلك سألت مرثا الصلاة والمخلّص أعطاها طلبها. ربما آخر غيرها قال: "يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي. لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي" (مت٨:٨). والمخلّص قال له "اذهب وكما آمنت ليكن لك" (مت٨:١٣). وإنسان آخر قال له "تعالَ واشفي ابنتي" (انظر مت٨:١٣) والمسيح قال له "سأتبعك" (انظر مت٩:١٩). لذلك يقدِّم الطبيب الشفاء كما يرغب الناس ويريدون، كما في مرة أخرى لمست المرأة طرف ثوبه سرًّا وشُفيت سرًّا (مت٩:٢٠، ٢٢). ومرثا قالت: "أنا أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه" (ع٢٢). لأنها طلبت الصلاة، قدَّم المخلّص لها صلاة، لكن لم يكن لأنه محتاج لأن يصلي، بل كان لأنه كيّف نفسه لضعفها. إنه أظهر أنه لم يكن معارضاً لله بل كل ما يفعله، يفعله الآب أيضاً.

في البدء خلق الله الإنسان، وكان الإنسان صورة للآب والابن. لأن الله قال: "لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك١:٢٦). وأيضاً عندما أراد أن

يدخل اللص إلى الفردوس في الحال قال كلمة وأدخله. إن المسيح لم يكن في احتياج إلى الصلاة لعمل هذا مع أنه منع كل البشر بعد آدم من الدخول إلى هناك. لأن الله وضع هناك السيف الملتهب ليحرس الفردوس. لكن المسيح بسلطانه فتح الفردوس وأدخل اللص.

يا سيد هل أدخلت اللص إلى الفردوس؟ هل أباك أخرج آدم من الفردوس لخطية واحدة وأنت، أتدخل اللص الذي كان متّهماً بجرائم لا حصر لها؟ هل أدخلته بمثل هذه السهولة وبمجرد كلمة؟

فيجيب المسيح: نعم أنا فعلت هذا. لكن أبي لم يطرد آدم من نفسه وبدوني، ولا أنا أدخلت اللص من نفسي وبدون أبي. إدخالي اللص هو أيضاً من عمل الآب، وإخراج أبي لآدم من الجنة هو أيضاً عملي، لأنه: "أنا في الآب، والآب فيّ" (انظر يو١٠:٣٨).

عودة إلى صلاة المسيح لأجل لعازر

لكي تروا إن إقامة لعازر لم تكن بتأثير صلاة المسيح، اسمعوه وهو يصلي. فماذا قال؟ "أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي" (ع٤١).

فماذا يكون هذا الكلام؟ هل هو صيغة صلاة؟ هل هو نوع من التوسُّل؟

"أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي. وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي" (ع٤١، ٤٢).

لو تعلم يا رب (يسوع) أن الآب دائماً يسمع لك، فلماذا تضايق (تزعج) الآب بما أنت تعلمه؟

إن المسيح يقول: "أنا أعلم أن الآب دائماً يسمع لي" لكن لأجل هذا الجمع

الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني" (ع٤٢). إنه لم يقدِّم صلاة لأجل الميت. هل قدَّم؟ إنه لم يطلب من الآب أن يقوم لعازر من الموت. هل طلب؟ إنه لم يقل: أيها الآب أأمر الموت أن يطيع. هل قال؟ إنه لم يقل: "أيها الآب أأمر الجحيم ألا يغلق أبوابه بل يكون مستعداً لرد الميت منه. هل قال؟ ما قاله هو هذا: "لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني". إذاً ما حدث لم يكن آية أو معجزة بل درساً وإرشاداً لمن كانوا واقفين هناك. أنتم رأيتم أنه لم يقدم الصلاة لأجل الميت، بل لأجل غير المؤمنين الواقفين هناك. إنه قال: "ليؤمنوا أنك أرسلتني".

لكن الهراطقة يسألون: "كيف يمكننا أن نعرف أنه أرسله؟"

أتوسل إليكم أن تنتبهوا لي بمنتهى الدقة. إن المسيح يقول: "انظروا إنني بسلطاني استحضر الإنسان الميت. بقوتي الذاتية أنا آمر الموت. إنني أدعو الآب "أبي". أنا دعوت لعازر للخروج من القبر. إن كان بدون حق إني دعوت الآب "أبي"، إذاً ليكن غير حقيقي أنني أدعو لعازر للخروج من القبر (أي لو كنت كاذباً لا يتحقق قيام لعازر من الموت). لكن لو كان الآب بالحق أبي، ليطع الميت أمري لكي ربما تعلّم عودته للحياة هؤلاء الواقفين هناك".

ماذا كان أمر المسيح؟ "لعازر هلم خارجاً" (ع٤٣).

عندما صلى المسيح لم يقم الميت. إنه قام عندما قال المسيح "لعازر هلم خارجاً".

يا لطغيان الموت! يا لطغيان القوة التي تمتلك تلك النفس!

إن صلاتي قبلت أيها الجحيم وأنت لا تزال ترفض أن تدع نفسه تمضي؟

فيجيب الجحيم: نعم أنا أرفض.

لكن لماذا؟

لأنني لم يتم أمري بالتصرف هكذا. أنا حارس سجن هنا ولي في حوزتي من هو خاضع لي. لو لم يتم أمري بالتصرف هكذا، لن أطلقه حراً. إن الصلاة لم تقدَّم بشأني، بل لأجل غير المؤمنين الواقفين هناك. لو لم يتم أمري بالتصرف هكذا، لن أطلق من هو في حوزتي. إنني انتظر كلمة أمر لأطلق روحه حرة.

"لعازر هلم خارجاً!"

سمع الميت أمر سيده وفي الحال كسر قوانين الموت.

الختام

لندع الهراطقة يخزون ويتلاشون من وجه الأرض!

بالتأكيد أن كلمة المسيح (لِعازر هلم خارجاً!) برهنت أن الصلاة لم تُنطق لإقامة الميت، بل قيلت بسبب ضعف غير المؤمنين الذين كانوا موجودين هناك في تلك اللحظة.

"لعازر هلم خارجاً!"

لماذا دعا الميت باسمه؟ لماذا؟

لو كان قد أعطى أمراً عاماً لكل الموتى، لكان قد أقام كل الموتى من قبورهم. لكنه لم يكن يرغب في إقامة الكل، لهذا السبب قال: "لعازر هلم خارجاً!. إنني أدعوك بمفردك أن تعود لفترة من الزمن. وأنا أدعوك أمام هذا الجمع الحاضر هنا، لكي بإقامة ميت واحد إلى الحياة، أبرهن على قوتي على من هم مزمعين أن يموتوا. لأنني أنا الذي أقمت ميتاً، سأقيم العالم كله لأنني أنا القيامة والحياة".

"لعازر هلم خارجاً! فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة" (ع٤٣، ٤٤).

يا له من أمر عجيب وغير متوقع هذا الذي فعله المسيح!

إنه أطلق النفس من قيود الموت. إنه فتح أبواب الجحيم على مصراعيه. إنه حطّم إلى قطع صغيرة جداً أبواب النحاس ومصاريع الحديد. إنه ألقى نفس لعازر حرة من قيود الموت. ألم يكن أيضاً بإمكانه أن يحل الأقمطة التي قُمّط بها الميت؟

نعم كان يستطيع، لكنه أمر اليهود أن يحلوا الأقمطة التي بها قمّطوا لعازر عندما وضعوه في القبر. إنه عمل هذا لكي يمكنهم أن يتعرّفوا على علامات ذات الأربطة التي قمّطوه بها. إنه تصرف هكذا لكي بذات خبرتهم يتعلّموا من ذات الأشياء التي صنعوها أن هذا هو لعازر نفسه الذي هم وضعوه في القبر. إنه أراد أيضاً أن يتعلّموا أنه هو المسيح الذي بحسب مراحم الآب جاء إلى العالم والذي له سلطان على الحياة والموت.

لك أيها المسيح مع الآب الأبدي ولك أيها الروح الكلي القداسة ومعطي الحياة المجد والقوة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور .. آمين.

العظة الرابعة

تذكار مدائح الشهداء

أثنــاء الأيــام الـكثيرة الماضيــة، ألقيت عـظـات مـدح كثيرة، وفـيـهـا أخـذت كـمـوضـوع لي جـهـادات الـرسول (بـولس) وتـهـلـلـت في تـعـداد أعـمـالـه الـروحـيـة الفـاضـلـة. وآن الأوان الآن لأن أنـهي وفـاء ديني لكم، ولا يوجد شيء يمنعني عن عمل هذا. لأن أيام كثيرة توسطت (حيث توقف عن متابعة ما سبق أن قاله في عظاته السابقة)، فأنا أعلم أنكم نسيتم كم أنا لازلت مدين به لكم. لكنني لن أخفي ديوني بسبب نسيانكم، بل سأشتاق بالأكثر لدفعها. أنا لا أفعل هذا فقط بسبب إنني مدين لكم، بل لأنه أيضاً مفيد لي.

في حالة التعاقدات ذات الصبغة المادية من المفيد للمدين أن يتناسى الدائن. لكن عندما يكون التعاقد في أمر روحي، توجد هناك فائدة لمن هو مزمع أن يدفع الدين – مهما كان الدين كبيراً – لو أن من سيدفع لهم ذكّروه باستمرار بديونه.

لأن في هذا العالم المادي وفاء المال يطلق المدين من دينه. إن المال ينتقل للدائن وتتقلص أموال المدين، بينما ثروة الدائن تزيد. لكن ليس الأمر هكذا في الديون الروحية، إذ من الممكن بآنٍ واحد وفاء الدين وفي نفس الوقت تحتفظ بملكيته، لكن الشيء الأعجب جداً هو أنه إن دفعنا ديوننا حينئذٍ بالأخص نمتلك هذا الخير. لكن فائدتي تتقلص ومصادري تنخفض لو أنني احتفظت بثروتي (الروحية) مدفونة في ذهني تحت حفظ متواصل أو لم أشرك أحد فيها أبداً. لكن لو أخذت ما في ذهني ونقلته لكل إنسان، لو أنني جعلت عدداً كبيراً

من الناس تقاسمني وتشاركني في كل شيء أرفع، فإن ثروتي الروحية ستزيد. بالتأكيد إنه صدق أن من يشرك آخرين يزيد ثروته، بينما الذي يخفيها يقلل من ربحه. ولديّ شاهد على هذا، الذين أخذوا الوزنات فواحد منهم أُعطي خمسة والثاني وزنتين والثالث وزنة. اثنان منهم ضاعفوا وزناتهم التي أُعطيت لهم، ولهذا السبب تم إكرامهم. أما الثالث فاحتفظ بالوزنة لنفسه ولم يشرك فيها أحداً. لذلك لم يستطع مضاعفة وزنته ولأجل هذا عوقب.

تقاسم الكلمة

إذ نحن نسمع لهذا المثل ونخشى العقوبة التي يسردها، لذلك فلنقدم لإخوتنا الحسن الذي لنا ولا نخفيه بل لنشارك كل الناس فيه علانية. عندما نقاسم الآخرين فيه حينئذٍ سنصير أكثر غنى. عندما نجعل كثيرين مساهمين في مشروعنا التجاري حينئذٍ سنزيد غنانا. أنتم تظنون أن مجدكم يتقلص عندما تشاركوا مع كثيرين معرفة الأشياء التي تعرفونها أنتم فقط. في الحقيقة فهذا هو الوقت الذي سيزيد فيه مجدكم وربحكم. أقصد اللحظة التي فيها تَطَئون الخبث تحت أقدامكم، عندما تطفئون نار الغيرة، عندما تظهر حباً عظيماً لأخيك. لو تجولت على أنك الوحيد الذي يمتلك معرفة شيئاً ما، سيحيد الناس عنك ويكرهونك كشخص غيور (على مجده) وكاره للناس، والله سيوقع بك قصاصاً شديداً كشخص شرير.

بالإضافة إلى كل هذا فإن النعمة ذاتها ستتخلى عنك سريعاً وتهجرك. حتى عندما يُحفظ القمح في المخازن فإنه يفسد عندما يأكله السوس، لكن لو ذهبنا به إلى الحقول وزرعناه، ينتج حياة جديدة ويتضاعف. كذلك أيضاً لو أن الحديث الروحي تم الاحتفاظ به دوماً في القلب، فإنه سريعاً ينطفئ (يتلاشى)

بسبب أن النفس تتآكل وتتدمر بغيرة تجعلها تضمر وتتلف. لكن لو أن الحديث زُرع في نفوس إخوتنا مثل بذور في حقل خصيب، فالكنز يتضاعف لمن يمتلكه ومن يناله.

إن النبع الذي يُسحب منه الماء دوماً يصير أنقى ويضخ ماء بكمية أعظم، لكن لو تم تغطيته يمتنع الماء. بنفس الطريقة لو أننا سحبنا من عطيتنا الروحية وكلمة الإرشاد، لو أننا أعطيناها باستمرار لمن يرغبون في الأخذ منها، فإنها ستتدفق بالأكثر. لكن لو تم دفنها (إخفائها) تحت ستار غيرة تتقاعس عن المشاركة مع آخرين ستمتنع وفي النهاية تنطفئ. لذلك حيث أن الأمر هكذا مفيد لي، هلموا ودعوني بأقصى مقدرتي أدفع علانية كل ديني لكم. لكن دعوني أولاً أذكّر أذهانكم بالترتيب وتتالي المحاورات التي تشكل الدين الذي أنا ملزم بدفعه.

تذكّر موضوع نقاش العظة السابعة

أنتم تعرفون وتذكرون إنني في أحاديثي قريبة العهد عن مجد الابن الوحيد (الجنس) عددت أسباباً كثيرة لماذا هو تنازل وكيّف نفسه بالطريقة التي تكلم بها. أيضاً قلت أن المسيح في مناسبات كثيرة تكلم بطريقة وضيعة وبلهجة متواضعة، ليس فقط لأنه كان متشحاً بالجسد وضعف سامعيه (روحياً)، بل أيضاً في أحيان كثيرة كان يعلّمنا أن نكون متضعين في أذهاننا.

في ذلك الوقت ناقشنا تلك الأسباب بما فيه الكفاية وأيضاً عندما ذكّرت ذهنكم بالصلاة التي قدّمها في إقامة لعازر والصلاة التي قدّمها على الصليب نفسه. إنني برهنت بوضوح أنه فاه واحدة من هذه الصلوات كضمان لتدبير الفداء (انظر مت٢٦:٣٩)، والأخرى (يو١١:٤١-٤٢) ليقوّم ضعف من يسمعوه

ولو أنه غير محتاج لمساعدة نفسه (بالصلاة).

وأنصتوا لهذا كدليل على أنه صنع أشياء كثيرة بينما كان يعلّم الناس أن يكونوا متضعين في أذهانهم. إنه سكب الماء في مغسل – وكما لو كان هذا غير كافي – فإنه أخذ منشفة واتزر بها وأنزل نفسه إلى أقصى اتضاع عندما بدأ بغسل أرجل تلاميذه (يو١٣: ٤، ٥)، وضمن بقية التلاميذ فإنه غسل قدمي يهوذا الخائن. من لا تصيبه الدهشة من هذا (التصرف)؟ إنه غسل قدمي من هو مزمع أن يخونه. عندما امتنع بطرس وقال: "لن تغسل رجليّ أبداً" (يو١٣:٨) لم يتخطاه المسيح بل قال له: "إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب" (تابع يو١٣:٨). حينئذٍ قال بطرس: "يا سيد ليس رجليّ فقط بل أيضاً يديّ ورأسي" (يو١٣:٩).

هل ترى توقير هذا التلميذ (لمعلّمه) سواء عندما رفض أو عندما وافق؟ فمع أن كلا المقولتين كانتا متناقضتين، لكنهما قيلتا من ذهن ملتهب (بالحب لسيده). هل ترى كيف أنه في كل الظروف كان متقداً وجسوراً؟

لكن بينما أنا مزمع أن أقول لكم لأمنعكم من الظن أن المسيح له طبيعة وضيعة بسبب وضاعة ما فعله، اسمعوا (بالأولى) لما قاله لهم بعد أن غسل أقدامهم: "أنتم تدعونني معلّماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلّم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً" (يو١٣:١٣–١٥).

هل ترون أنه عمل أشياء كثيرة لكي يعطيهم مثالاً؟ المعلّم المملوء حكمة يتلعثم مع تلاميذه الصغار المتلعثمين. لكن تلعثم المدرس لا يتأتى من نقص

في قدرته بل هو علامة على الاهتمام الذي يشعر به تجاه أولاده. بنفس الطريقة لم يعمل المسيح هذه الأعمال بسبب وضاعة جوهره. إنه عملها بسبب أنه تنازل وكيّف نفسه لأجلنا.

لا ينبغي أن نعبُر على هذا ببساطة. لو أننا فحصنا أفعاله في حد ذاتها، انظر أية سخافة ستترتب على هذا. لو رأينا أن الذي غسل أدنى كثيراً من الذي يُغسل له – والمسيح هو الذي غسل بينما التلاميذ هم الذين غُسل لهم – إذاً سيكون المسيح أدنى من التلاميذ. لكن ولا حتى الإنسان الأحمق سيقول هذا، فهل ترون كم أنه من الخطأ ألا نعرف الأسباب لماذا فعل المسيح كل شيء عمله؟ بل ألا ترون كيف أنه من الأفضل أن نفحص كل أعماله بحرص شديد؟ لا ينبغي أن نكتفي بقول أن المسيح قال أو فعل شيئاً ما كان وضيعاً وخفيضاً. ينبغي أن نضيف أيضاً السبب لماذا (هو عمل أو قال هذا على هذا النحو الوضيع الذي لا يتناسب مع كونه إله).

كلمات وأقوال المسيح

وهذا ما فعله المسيح هنا في حادثة غسل الأرجل. إن المسيح أشار أيضاً إلى نفس الشيء في موضع آخر. أولاً هو قال: "لأن من هو أكبر؛ الذي يتكئ أم الذي يخدم؟" (لو٢٢:٢٧)، ثم أضاف قوله: "أليس الذي يتكئ؟ ولكن أنا بينكم كالذي يخدم" (تابع لو٢٢:٢٧). إنه قال هذا وفعل هذا بسبب أنه كان يُظهر أنه في حالات كثيرة أخذ لنفسه الأشياء الأحقر لكي يعلّم التلاميذ وفي نفس الوقت يفوز بهم في ممارسة الاتضاع.

ومن الواضح أنه احتمل هذه الأعمال الذليلة لكي يعلّم التلاميذ وليس بسبب أن طبيعته كانت أدنى. لأنه قال في موضع آخر: "أنتم تعلمون أن رؤساء

الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً. إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليَخدم" (مت٢٠:٢٥-٢٨). فإن أتى هو ليَخدم ويعلّم الاتضاع فلا تنزعج. لا يخور قلبك لو رأيته في أي وقت أو أي موضع يتصرف أو يتكلم كعبد.

بهذه الطريقة قدّم هو كثيراً من صلواته بنفس الغرض. بالتأكيد فإن التلاميذ جاءوا إليه وقالوا "يا رب علّمنا أن نصلي كما علّم يوحنا أيضاً تلاميذه" (لو١١:١).

قل لي: ماذا كان عليه أن يفعل؟ هل كان عليه أن يرفض تعليمهم الصلاة؟ لكن لأجل هذا هو جاء لكي يقودهم إلى الطريقة الكاملة للحياة. هل كان عليه أن يعلّمهم؟ لذلك كان عليه أن يصلي.

لكن الهراطقة سيقولون: كان عليه أن يفعل هذا فقط بكلماته. لكن ممارسة التعليم بالكلام لا يقنع عادةً من يتعلمون كما يفعل التعليم بالفعل والمثال (العملي).

بالتأكيد هذا هو السبب أنه لم يعلّم التلاميذ الصلاة فقط بكلماته، بل بالأحرى هو علّمهم دائماً بمثال (عملي) وقضى ليالي بأكملها في الصحراء يصلي. إنه عمل هذا ليعلّمنا وينصحنا أنه عندما نزمع أن نتحادث مع الله، ينبغي أن نهرب من الضوضاء والزحام والتشويش.

بالعكس ينبغي أن نذهب إلى موضع منعزل ونمضي فيه وقت لا تتعوق فيه خلوتنا. لا يقدِّم الجبل فقط الخلوة المطلوبة، بل أيضاً المخدع الذي لا ضوضاء أو ضجيج فيه يمكنه أن يقدِّم فرصة شبيهة.

لماذا صلى المسيح؟

ينبغي لكم أن تعلموا أنه صلى لكي يتنازل ويكيّف نفسه لنا. لقد برهنت هذا خصوصاً عندما تحدثت عن الأحداث التي تمت في إقامة لعازر. لكن الأمور الأخرى تجعل هذا أيضاً واضحاً. فمثلاً لماذا لم يصلي في حالة معجزاته الأعظم بينما صلى عندما كانت المعجزات التي أجراها أقل إبهاراً؟ لو هو صلى لأنه احتاج إلى معونة الآب وبسبب أن قوته كانت أدنى، لكان له أن يصلي ويدعو الآب لمساعدته في كل معجزاته. وإن لم يكن في الكل، فعلى الأقل كان له أن يصلي له في معجزاته الأعظم. لكننا نجد أنه عمل العكس.

إنه لم يصلي عندما أجرى المعجزات الأعظم. لكننا نجد أنه عمل العكس. إنه لم يصلي عندما أجرى المعجزات الأعظم بسبب أنه كان يظهر لنا أنه عندما صلى، تصرف هكذا لكي يعلّم آخرين وليس بسبب نقص في قوته. بالتأكيد عندما بارك أرغفة الخبز لم يتطلّع إلى السماء وصلى. إنه فعل هذا لأنه كان يعلّمنا ألا نتذوق الطعام على المائدة قبل أن نشكر الله الذي صنع الأكل لنأكله. عندما أقام كثيراً من الموتى لم يصلّ بل صلى فقط عندما أقام لعازر.

وقلنا في حديثنا السابق أن السبب في هذا كان هو تقويم ضعف من كانوا موجودين آنذاك. وهو نفسه أعطى هذا كسبب عندما أعلن بوضوح "لأجل هذا الجمع الواضح قلت" (يو١١:٤٢). في ذلك الحديث قدّمت دليلاً وافياً أن الذي أقام الميت لم تكن صلاته بل كلماته (لعازر هلم خارجاً). انظروا بتدقيق الآن حتى يكون لكم أيضاً معرفة أوضح عن هذا.

عندما كان هناك احتياج للثواب أو العقاب، لمغفرة الخطايا أو سَن تشريعات، عندما كان على المسيح أن يصنع واحدة من الأشياء الأكثر عظمة،

لن تجدوه يدعو الآب (طلباً) للمعونة، ولا ستجدونه يصلي. كل هذه الأشياء ستجدون أنه فعلها بسلطانه الذاتي.

المسيح في طريقة تصرفه

وسأعدد كل واحدة منها. ينبغي أن تلاحظوا بتدقيق عظيم كيف أنه لم يكن بحاجة إلى الصلاة في أيٍّ من هذه المواقف.

إنه قال: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم" (مت٢٥:٣٤)، وأيضاً قال: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته" (مت٢٥:٤١).

أتنظر كيف يعاقب ويكافئ بكل سلطان ودون احتياج للصلاة؟ وكذلك أيضاً عندما كان عليه أن يشفي المفلوج قال له: "لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك" (مر٢:١١). وعندما كان عليه أن يحرر الصبية من الموت قال: "يا صبية لك أقول قومي" (مر٥:٤١)، وعندما كان عليه أن يحلّ المفلوج من خطاياه قال له: "ثق يا بني. مغفورة لك خطاياك" (مت٩:٢). وأيضاً عندما كان عليه أن ينتهر الشياطين قال: "اخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس" (مر٥:٨). عندما كان عليه أن يلجم البحر قال: "اسكت. ابكم!" (مر٤:٣٩). عندما كان عليه أن يطهّر الأبرص قال: "أريد فاطهر" (مت٨:٣).

عندما كان عليه أن يسن تشريعاً قال: "قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" (مت٥:٢١، ٢٢). هل ترون أنه صنع كل شيء بسلطان كسَيِّدٍ؟ إنه زج بالبعض في جهنم، وقاد آخرين إلى

الملكوت، شفى المفلوج، طرد الشياطين إلى الهلاك، غفر خطايا، انتهر الشياطين، جعل البحر يبكم ويصير هادئاً.

ولكن أخبروني أي منها تكون المعجزة الأعظم؟ هل الاقتياد إلى الملكوت والزج في جهنم؟ هل غفران الخطايا وسن شرائع بسلطان أو هل تكثير الخبز؟ أليس من الواضح، ألا يوافقني كل إنسان أن الأخيرة (تكثير الخبز) ليست في عظمة بقية المعجزات؟ لكن بالرغم من هذا لم يصلي عندما أجرى المعجزات الأعظم، لأنه كان يُظهر أنه حتى عندما صلّى في المعجزات الأقل لم يصلي بسبب نقص في قوته، بل بسبب أنه كان يعلّم من كانوا واقفين أمامه آنذاك.

لكي تعرفوا كم هي معجزة عظيمة أن تغفر خطايا سأقدّم لكم نبيًّا كشاهد لي. هذا النبي يظهر أن مغفرة الخطايا ليست من عمل أحد سوى الله فقط، وذلك عندما قال: "من هو إله غافر الإثم وصافح عن الذنب؟" (مي٧:١٨). وإحضار النفوس إلى الملكوت هو عمل أعظم من ملاشاة الموت. لكنه اقتاد النفوس إلى الملكوت وفعل هذا بسلطانه الخاص (في حالة اللص اليمين). إن سَن الشرائع ليس عمل من هم خاضعين، بل هو عمل من يحكمون.

إن ذات طبيعة ما عُمل تعلن هذا، لأنه أمر يختص بالملوك فقط أن يسنّوا الشرائع. إن الرسول (بولس) يبين هذا عندما يقول: "وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً" (١كو٧:٢٥). حيث أن بولس كان خادماً، فهو لم يجرؤ على إضافة شيئاً لما تم تشريعه بقانون من البدء.

إن المسيح لم يتصرف كما فعل بولس. فهو يذكر الشرائع القديمة بسلطان عظيم وبعد ذلك يقدِّم شرائع من عنده. إن سَن الشرائع بدون أي صلاحية (من

أحد) هو أمر يختص بسلطان ملوكي فقط. لكننا نجد المسيح يسِن الشرائع بنفسه ويعدّل الشرائع القديمة. إن كان الحال هو هكذا فأي ملاججة متروكة لمن بوقاحة يعارضونه؟ هذا بالتأكيد يوضح أن المسيح هو من نفس جوهر الآب الذي ولده.

توافق (وتناسق) العهدين

لكي ما أقوله يصير أكثر وضوحاً، لنمضِ إلى كل موضع في الأسفار حيث يتحدث المسيح عن الناموس. بعد أن صعد المسيح إلى الجبل، فلما جلس تقدَّم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلّمهم قائلاً: طوبى للمساكين بالروح.. طوبى للرحماء ... طوبى لأنقياء... (انظر مت٥:١-١١)، ثم بعد هذه التطويبات قال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمِّل" (مت٥:١٧).

إنه لم يكن بسبب ما قاله (أي التطويبات) أنه صنع هذا التصحيح، بل بسبب ما كان مزمعاً أن يقوله. إنه كان مزمعاً في بدء الامتداد بالوصايا ولم يكن يرغب أن التلاميذ يظنوا أن أي زيادة يصنعها فيها تضارب (مع الوصايا القديمة) ولا أن أي إضافة يكون فيها تناقض مع الوصايا القديمة. لهذا السبب قال: "لا تظنّوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" (مت٥:١٧) أي أنني مزمع أن أقول أشياء أكثر كمالاً عن التي قيلت من قبل.

فمثلاً: "سمعتم أنه قيل لا تقتل. وأما أنا فأقول لكم لا تغضبوا. سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (مت٥:٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨). وهناك أيضاً أقوال كثيرة مشابهة.

إكمال الناموس وليس نقضه

لكن لا تظنّوا أن إكمال الناموس ينقضه (أي يلغيه)، إنه ليس نقض بل إكمال. ما فعله المسيح بالأجساد، صنعه أيضاً مع الناموس. ماذا صنع مع الأجساد؟ عندما جاء ووجد أعضاء كثيرة مشوّهة وكلها ضعيفة وناقصة، أكملها وأعادها إلى الحالة الصحيحة والسليمة. في هذه الأفعال وفي كل ما صنعه أظهر أنه كان هو الذي أسّس الشرائع القديمة وأنه كان هو الذي خلق البشر.

كم كانت لهفة المسيح لإثبات هذا (لفائدة وخلاص البشر)، يتّضح بالأكثر عندما شفى المسيح الأعمى (منذ ولادته). لذلك صنع المسيح الطين وطلى بالطين (موضع) عيني الأعمى وقال له اذهب اغتسل في بركة سلوام (انظر يو٩:٦، ٧). عندما أقام الميت بأمره فقط (لعازر هلم خارجاً)، عندما أدّى معجزات أخرى كثيرة بمجرّد كلمة، لماذا في هذه الحالة (التي للمولود أعمى) أضاف عليها عملاً بأن صنع طيناً وطلى بها عيني الأعمى؟ أليس من الواضح أنه تصرّف هكذا حتى عندما تسمع أن الله أخذ تراباً من الأرض وصنع الإنسان تعلم مما حدث هنا (في شفاء الأعمى منذ ولادته) أن المسيح هو الذي خلق الإنسان في البدء؟ لو لم يكن هذا هو ما يرغب في إثباته، فما عمله عندما صنع الطين (وطلى به عيني الأعمى) هو شيء سخيف ولا ضرورة له.

علاوة على ذلك هو أرادكم أن تعلموا أن الطين الذي استخدمه لم يساعده في استعادة نظر الأعمى. إن طلاء عينيه بمجرد أمر بدلاً من طلائها بذلك الطين كان أكثر من كافٍ. لهذا السبب هو أضاف أمراً وقال له: "اذهب اغتسل في بركة سلوام" (يو٩:٧).

ربما يرغب النحات الرفيع المستوى في برهنة مهارته باستخدام واحدة من أعماله. وهكذا عندما يشكّل تمثالاً، يترك جزءاً منه، لكيما بمهارته في صنع الجزء المتروك يبرهن على أنه صانع التمثال كله.

بنفس الطريقة عندما أراد السيد المسيح أن يبرهن أنه هو الذي صنع الإنسان كله (في البدء) ترك هذا الإنسان ناقصاً (في خلقته). إنه تصرّف هكذا لكي عقب مجيئه وإعطاء نظر للأعمى واستعادة الجزء الذي كان محذوفاً (أي ناقصاً) يغرس فينا الإيمان والاعتقاد أنه كان هو الذي صنع الإنسان كله (في البدء).

امتداح العين

ولاحظ أي جزء هو يستخدمه ليبين هذا. إنه لا يستعيد اليد أو الرِجل، بل استعاد النظر للعينين، اللذان هما أجمل أعضائنا وأكثرها ضرورة لنا. بالتأكيد لا يوجد فينا جزء أكثر من أعيننا. حيث أنه استطاع أن يشكل (يخلق) أجمل وأكثر الأعضاء ضرورة لنا – أقصد الأعين – فمن الواضح تماماً أنه يستطيع أن يشكل اليد والرجل وكل الأعضاء الأخرى. يا لهذه العيون المطوَّبة (التي لهذا الأعمى)!

إنها صارت منظراً لكل من كانوا واقفين بالقرب واجتذبت كل الناس إليها، وبجمالها تحدثوا وهي علّمت كل الواقفين بالقرب كم كانت عظيمة القوة التي للمسيح. بالتأكيد إن ما حدث كان غير متوقعاً وكان متناقض: إنسان أعمى كان يعلّم من لهم نظر كيف يروا. المسيح أوضح هذا عندما قال: "لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون" (يو٩:٣٩).

يا لهذا الأعمى الطوباوي! النظر الذي لم ينله من الطبيعة، ناله من النعمة. ولا التعوق الذي عاناه سبَّب خسارة إن قورن بالربح الذي حازه من الطريقة التي بها تم الشفاء. أي عينين يمكن أن تكون عجيبة أكثر من العينين اللتين تكرّم المسيح بوضع الطين عليهما بيديه الطاهرتين اللتين بلا عيب؟ ما حدث في حالة المرأة العاقر (أليصابات) حدث أيضاً هنا.

إنها لم تتضرر أبداً من التأخير، بل هي صارت أكثر شهرة بسبب أنها حبلت وولدت ابناً ليس بقوانين الطبيعة، بل بقوانين النعمة. بنفس الطريقة لم يتضرر الأعمى بعماه السابق بل أيضاً نال أعظم منفعة منه، لأنه أُعتبر جديراً أولاً أن ينظر شمس البر وأيضاً لأن الشمس التي في السماء مرئية الآن لعينيه.

الناموس يكتمل مع الوقت

إنني أقول هذا لكي لا نشعر بانزعاج أو نقبل الأمر كرهاً عندما نرى واحداً منا أو أي شخص آخر يعاني أي بلايا. لو احتملنا كل شيء يحدث لنا بإحساس الشكر والصبر، فكل بلية ستأتي إلى نهاية مفيدة لنا وتملأنا ببركات كثيرة. لكن هذا هو ما أود أن أقوله. المسيح أخذ أجساداً كانت ناقصة لأنها كانت عادمة شيئاً ما وجعلها تامة وكاملة. بنفس الطريقة هو أخذ الناموس الذي كان ناقصاً وقوّمه وشكّله وجعله في حالة أكثر كمالاً.

عندما تسمعني أقول أن الناموس لم يكن كاملاً، لا تظن أنني ألوم من صنع الناموس. إن الناموس لم يكن ناقصاً بسبب طبيعته ذاتها، إنه صار ناقصاً بمرور الوقت. في الوقت الذي فيه صيغ، كان الناموس تاماً جداً وملائماً بدقة للطبائع التي أخذته. لكن عندما تقدمت الطبيعة (البشرية) إلى حالة أكثر كمالاً، بعد ذلك من خلال تعاليم المسيح، صار الناموس القديم أقل كمالاً، ليس

بطبيعته ذاتها، بل بسبب التقدم في الفضيلة الذي حدث من التعاليم التي أعطاها المسيح.

لنفترض أنه صنع قوساً وسهاماً ليتدرب عليها أمير (صغير) وليس لاستخدامها في الحروب والمعارك. بالتأكيد هذه الأسلحة تصير عديمة الفائدة عندما يكبر الأمير وقد تعلّم أن يبرع في القتال. نفس الشيء حدث مع طبيعتنا. عندما كنا في حالة أقل كمالاً وكنا نتعلم بتدريب أنفسنا بالممارسة، أعطانا المسيح أسلحة مناسبة يمكننا أن نحملها بسهولة. عندما كبرنا فيما بعد ونضجنا بتقدُّمنا في الفضيلة، صارت تلك الأسلحة أقل ملائمة (لنا) لأننا تقدَّمنا في الكمال. لهذا السبب جاء المسيح ووضع في أيدينا أسلحة أخرى أفضل (من الأولى).

رجعة إلى موضوع الناموس القديم والجديد

انظروا إلى الفطنة العظيمة والحكمة اللتين يظهرهما المسيح عندما يَذكُر الشرائع القديمة وبعد ذلك يقدِّم الجديدة. لأنه قال "سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل" (مت٥: ٢١).

أخبرنا أيها المسيح: من قال هذا؟ هل أنت قلته أم أبيك؟ لكنه لا يخبرنا من الذي قاله.

لماذا بقى صامتاً عن هذه النقطة؟ لماذا أحجم عن توضيح من قال هذا؟ لماذا قدَّم الناموس دون أن يسمّي من صاغه؟ إن السبب كان هذا: لو كان له أن يقول: "قال أبي لا تقتل أما أنا فأقول لكم لا تغضبوا" لبدت لهجته صعبة على فهم سامعيه بسبب نقص ذكائهم. لأنهم لم يكونوا قادرين بعد على فهم أنه

بصياغة هذه الشرائع الجديدة لم يكن يلغي الشرائع الأقدم بل كان يضيف إليها، ولقال الذين كانوا يسمعونه (آنذاك): ماذا تقصد؟ هل أبوك يقول لا تقتل وأنت تقول لا تغضب؟

إن المسيح رغب في أن يجعل الكل يتحاشوا الظن أنه كان معارضاً للآب أو أنه يقول شيئاً ما أكثر مما قاله الآب، كما لو كان هو أحكم من الآب. لهذا السبب لم يقل: "قد سمعتم من الآب".

أيضاً لو كان له أن يقول: "قد سمعتم أنني قلت للقدماء" لبدا هذا غير محتمل لهم بالأكثر بما لا يقل عن العبارة السابقة. انظر ماذا حدث عندما قال "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو٨:٥٨). لقد حاولوا أن يرجموه، فماذا كانوا سيفعلون لو أضاف أنه هو أيضاً الذي أعطى الناموس لموسى؟ لهذا السبب لم يقل شيئاً عن نفسه ولا عن الآب، بل دعا هذه التسمية تَعبُر وقال "سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل" (مت٥:٢١).

عندما عوّض المسيح ما كان مفقوداً في الأجساد الناقصة، علّم الناس من هو الذي خلق الإنسان في البدء. إنه يفعل هنا نفس الشيء. بتقويم (تطوير) الناموس وإضافة ما هو ناقص، يعلّمنا أنه كان هو أيضاً الذي أعطى الناموس في البدء. لهذا السبب لم يذكر سواء نفسه أو الآب عندما كان يتحدث عن خلقة الإنسان.

في هذه الحالة لم يسمّي من الخالق، بل ترك هذا غير مميّز عندما قال: "الذي خلق في البدء، خلقهما ذكر وأنثى" (مت١٩:٤) في كلماته هذه لم يقل شيئاً عمن كان هو الخالق، لكن بأعماله علّمنا من خلق الإنسان عندما زوّده بما كان مفقوداً في الأجساد الناقصة. كذلك أيضاً هنا عندما قال: "سمعتم أنه قيل

للقدماء" صَمَتَ عمن يكون قائلها، لكن بذات أعماله كشف أنه كان هو القائل. لأن الذي عوّض ما كان ناقصاً كان هو الذي في البدء قدَّم الناموس (لهم). علاوة على ذلك هو يَذكُر الشرائع القديمة ذاتها. إنه يفعل هذا لكيما يعرف من كانوا يسمعوه، بمقارنة القديم والجديد أن ما قاله لم يكن يقوله معارضةً للآب، وأن له نفس القوة مثل الآب الذي ولده.

إن اليهود فهموا هذا وقد أصابتهم الدهشة. وكونهم أُصيبوا بالدهشة، اسمع للإنجيلي الذي أوضح هذا عندما قال: "بهتت الجموع من تعليمه، لأنه كان يعلّمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (مت٧:٢٨، ٢٩).

إن الهرطوقي يقول: فماذا لو أساءوا تفسير هذا؟ المسيح ما لامهم. هل لامهم؟ إنه لم يوبخهم. هل وبخهم؟ بالعكس هو أكّد رأيهم. لأنه في الحال (بعد عظة الجبل) جاء إليه أبرص وقال له: "يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني" (مت٨:٢). وماذا قال المسيح له؟ "أريد فاطهر" (مت٨:٣).

لماذا لم يقل فقط "اطهر"؟ في الواقع أن الأبرص شهد أن المسيح لديه القوة عندما قال "إن أردت". لكن لكي لا تظنّوا أن الكلمات "إن أردت" تختص فقط لرأي الأبرص، المسيح نفسه أضاف كلماته "أريد فاطهر". بهذه الطريقة هو قصد أن يظهر أن القوة كانت له من كل وجه وأنه يعمل كل ما يعمله بسلطانه الخاص. إن لم يكن الأمر هكذا، لكان ما قاله هو عبثاً وغير ضروري.

المسيح أخذ جسداً عن تواضع

لذلك إذ قد علَّمنا أن المسيح له القوة في كل شيء، فإذا رأيناه في مكانٍ ما آخر يعمل أو يقول شيئاً ما وضيعاً وخفيضاً، نتذكر أنه يعمل هذا إما لأجل الأسباب التي عددتها حديثاً أو لأنه رغب في أن يُحضر سامعيه إلى اتضاع

الذهن. لكن ليتنا لأجل هذا السبب لا نجلب عليه عدم اعتبارنا له في جوهر خفيض ووضيع[1].

إنه احتمل أن يأخذ لنفسه ذات جسد الإنسان، لكنه فعل هذا من باب التواضع وليس لأنه كان أقل من الآب (لأن التجسد كان جزء من تدبير الفداء). ما هو الدليل على هذا؟

ولكن أعداء الحق ينشرون خبراً مضمونه أن سبب أخذه جسداً هو لأنه كان أقل من الآب (في الجوهر). لأنهم يقولون: "لو كان هو مساوٍ للآب الذي ولده، فلماذا لم يأخذ الآب الجسد لنفسه؟ لماذا كان الابن هو الذي أخذ شكل العبد؟ أليس من الواضح أن الابن أخذ هذه الهيئة لأنه كان أدنى من الآب؟

في الواقع لو كان التدني (أي كونه أقل من الآب) هو السبب الذي لأجله أخذ الابن طبيعتنا البشرية، إذاً كان على الروح القدس، الذي هو أدنى من الابن كما يقولون هم (لأننا لا نقول بهذا) أن يصير جسداً. لأنه لو كان الآب أعظم من الابن لكون الابن أخذ جسداً، بينما الآب لم يصر جسداً، فالروح سيصير أعظم من الابن لنفس هذا السبب، لأن الروح لم يأخذ جسداً.

لكننا لا نرغب في إثبات هذا بمحاورات إيضاحية (من عندنا). لذلك هلموا ولنبرهنه من الأسفار المقدسة ذاتها. لنظهر أنه أخذ جسداً لنفسه بسبب تواضعه. إن بولس لديه معرفة دقيقة عن هذه الأشياء. عندما يزمع أن يحثنا لشيءٍ ما مفيد لنا، فهو يستخرج أمثلة الفضيلة من السماء ذاتها. فمثلاً هو يحضّنا كثيراً على المحبة والصدقة. كذلك عندما أراد أن يحث تلاميذه أن

١- أي ليتنا لتصرفاته المتضعة لا ننظر إليه نظرة فيها عدم تقدير له وننعته بأن له جوهر خفيض وأقل من جوهر الآب.

يحبوا بعضهم البعض، فإنه أحضر (مثال) المسيح أمامهم وقال: "أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة" (أف٥:٢٥). أيضاً عندما كان يتكلم عن الصدقة (لأجل فقراء أورشليم) فعل نفس هذا الشيء.

لهذا السبب قال بولس: "فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره" (٢كو٨:٩). ما يقصده بولس هو شيءٍ ما مثل هذا: كما أن سيدكم صار فقيراً بأخذه الجسد، كذلك يلزمكم أن تصيروا فقراء في المال. لأنه كما أن فقر التكريم (أو المجد) لم يضرّه، كذلك أيضاً الفقر فيما يخص المال لن يمكنه أن يضرّكم، بل سيجلب لكم ثروة عظيمة (روحياً).

أيضاً عندما كان يتحدث إلى أهل فيلبي عن التواضع، أحضر أمامهم مثال المسيح وقال: "بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم" (في٢:٣)، ثم مضى بعد ذلك إلى القول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ" (في٢:٥-٧).

تعريف التواضع

لذلك لو سمح المسيح لنفسه أن يأخذ جسداً لأنه كان أدنى من الآب في الطبيعة، فما عُمل لم يكن عملاً تواضعياً. إذاً سيكون من العبث وغير الضروري لبولس أن يُحضر المسيح كمثال عندما كان يحضّ تلاميذه على التواضع. لأنه عمل من باب التواضع عندما يطيع واحد من يعادله في الرتبة. وبولس أشار إلى هذا عندما قال: "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ" (في٢:٦، ٧).

ماذا يقصد بولس عندما قال: "لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ" (في٢:٦، ٧)؟

إنه يقصد: لو أن إنساناً سرق شيئاً ما لا يخصّه واستمر في الاحتفاظ به، لن يختار أن يتخلى عنه حتى لو كان يخشى ذلك ولا يمكنه أن يشعر بالثقة (الآمان) أنه سيحتفظ بما سرقه. أما الإنسان الذي له قنية ما لا يمكن أن تُنزع منه، لا يشعر بأي خوف حتى لو أُخفيت قنيته (إن ألوهية الابن ومساواته للآب في الجوهر لا يمكن أن تُنزع منه حتى لو أُخفيت بالطبيعة البشرية التي أخذها السيد المسيح في التجسد).

فمثلاً لتوضيح ما أقوله بمثال. لنفترض أن إنساناً ما له عبد وابن. لو صرخ العبد مطالباً بحريته - حرية ليس من حقه أبداً أن يطالب بها - وإن قاوم سيده. حينئذٍ لا يمكنه أن يباشر أي عمل متدني أو يطيع أي أمر. لماذا؟ لأنه يخشى أن هذا العمل ذاته ربما يؤذي الحرية التي طلبها. إنه يخشى أن إطاعة أي أمر تضع عقبة في طريقه، لأنه سرق كرامة واحتفظ بها على عكس ما يستحق. لكن الابن لن يعتفي عن صنع أي عمل متدني لأنه يعرف أنه حتى لو أنجز كل خدمات خدم أبيه، فحريته لن تتأذى أبداً، بل ستبقى غير متغيّرة. إتمام عمل العبيد لا يمكن أن ينزع الكرامة والمجد اللذين له بالطبيعة. لماذا؟ لأن مجده لا يكون له لأنه سرقه كما فعل العبد (في المثَل الذي قيل منذ قليل)، بل إن مجده له بسبب ولادته ذاتها، فمن اليوم الأول له على الأرض كان المجد له بالوراثة.

هذا ما كان يوضحه بولس عن المسيح. حيث أن المسيح كان حراً بالطبيعة وابناً حقيقياً ولم يختلس المساواة مع الآب بالسرقة. لذلك حيث أنه لم يكن

بحاجة إلى إخفاء هذه المساواة، فبكل ثقة هو أخذ شكل العبد وجسده[٢]. هو علم جيداً أن التنازل والتكيُّف لا يمكن أن يقلل أبداً من مجده. لأن مجده لم يكن غريباً عنه أو لم يدخله من خارج نفسه، لم يُعط له بالسرقة، لم يكن مجده مجد آخر لا يخصه. كان مجد المسيح حقيقياً ومجده الخالص له بالطبيعة.

لهذا السبب هو أخذ شكل العبد وجسده. هو علم جيداً وتيقن أن هذا لا يمكن أبداً أن يضرّه. لذلك فالتجسد لم يضرّه أبداً بل احتفظ بنفس مجده حتى في صورة العبد (ولكن بطريقة خفية رآه من حوله بحسب يو١:١٤). هل ترون أن ذات أخذه جسداً لنفسه هو دليل على أن الابن مساو للآب الذي ولده وأن هذه المساواة ليست غريبة عنه ولا أتته من خارج نفسه؟ هل ترون أن هذه المساواة لا تذهب وتجيء بل هي قوية وراسخة (فيه) لا تتغير، نوع المساواة التي تكون طبيعية بين ابن وأبيه؟

حث أخير: ضرورة الغفران

لذلك لنقدِّم كل هذه البراهين للهراطقة. وعلى قدر ما أنه يتوقف على جهودنا فلنقودهم بعيداً عن اعتقادهم الهرطوقي الشرير ولنحضرهم إلى الحق. وبالنسبة لنا ليتنا لا نظن أن الإيمان (الصحيح) وحده كافي لخلاصنا. ينبغي لنا أن نشعر بالاهتمام لسلوكنا ونعطي مثال بحياة في غاية الكمال. بهذه الطريقة سنجهز لأنفسنا منفعة مفيدة من مصدرين: من الإيمان ومن الأعمال الصالحة.

إنني حرضتكم حديثاً على النبوغ في الفضيلة والآن أيضاً أعطيكم نفس

٢– وردت هذه العبارة بحسب النص هكذا "أخذ طبيعة وشكل العبد" وآثرنا ترجمتها هكذا منعاً لسوء الفهم.

النصح. لنضع جانباً كل بغضتنا لبعضنا البعض. ليت لا أحد منا يعادي جاره ولو ليوم واحد. ينبغي أن يتخلص من الغضب قبل حلول الليل. إن لم يفعل هذا بل مضى في بغضته سيصنّف قائمة من كل ما قيل وعُمل، وهذا سيجعل من العسير إنهاء الشجار ويجعل إتمام الصلح أكثر صعوبة.

أحياناً تنخلع عظام جسدنا (من المفاصل) ولو تم إعادتها بدون تأخير، فإنها ستعود إلى موضعها الأصلي بدون ألم كثير ولا متاعب، لكن لو بقت خارج المفصل لفترة طويلة، من العسير عليها أن تعود ثانية وترجع إلى الموضع الذي يخصها، وبعد ردها تحتاج إلى أيام كثيرة للارتباط بدقة لتصير مرتفقة جيداً وتظل في موضعها.

بنفس الطريقة لو صالحنا أعداءنا ووفقنا سوياً الأجزاء المخلوعة بدون تباطؤ، فلن تأخذ منا مجهوداً كبيراً للعودة إلى صداقتنا السابقة. لكن لو تركنا البغضة تعمينا ومضى وقت طويل، حينئذٍ يخجلنا خزينا ونحتاج لمعونة آخرين لتردّنا سوياً مرة ثانية ولإعادة وضع ما قد انخلع. وحتى بعد عودتنا إلى الموضع ثانية، لا نزال نحتاج إلى معونة الآخرين لنرى أننا قابعين بالضبط في الموضع وابتدأنا في الاتحاد سوياً إلى أن نستعيد إخلاصنا القديم والدالة والثقة بيننا.

لا تجعلوني أقول شيئاً الآن عن السخرية والخزي. دعوني فقط أسأل كم عظيمة هي الملامة التي نستحقها إن احتجنا لمعونة الآخرين ليصالحونا مع أعضائنا ذاتها؟ لكن ليس هذا هو الشيء المريع الذي يحدث عندما نؤخر ونرجئ المصالحة. وماذا يحدث غير هذا؟ بسبب التأخير، نستاء من أشياء ليس المقصود منها الإساءة على الإطلاق. مهما يقوله عدونا، سننظر إليه بشك، ليس

فقط كلماته، بل سلوكه الظاهري، الطريقة التي ينظر بها إلينا، طريقة مشيه.

عندما نلقي عليه نظرة، منظره يلهب قلوبنا المتقسّية بالبغضة. وحتى عندما لا نراه فإن تذكّره يسبب لنا الألم والضيق. لأنه كقاعدة: ليس فقط منظر من آذونا (وجرحوا مشاعرنا) بل أيضاً تذكّر الضرر الذي فعلوه يسبب لنا ألماً مستمراً. بل عندما نسمع شخصاً ما آخر يتحدث عن عدونا، نحن كذلك نبدأ في الحديث عنه بنفس الطريقة العدائية كما في السابق. في الحقيقة نحن ببساطة نقضي كل حياتنا في حزن وضيق. لأنه بينما نحن نحافظ على هذه الحرب الثابتة داخل نفوسنا، نسبب لأنفسنا ضرراً أعظم من الذي نسببه لأعدائنا.

دوافع عطوفة (تتسم بالحب) نحو الكل

أيها الأحباء أنتم تعرفون كل هذا وتدركون هذا جيداً. لذلك ليتنا نجتهد على الأخص ألا نجعل أي إنسان عدواً لنا. لو نشأت بغضة لأي شخص آخر، لنتصالح في نفس اليوم. لو وصل غضبنا إلى ثاني أو ثالث يوم، سيصير الثالث سريعاً يوماً رابعاً وخامساً وهذه الكراهية ستطول أيامها. كلما طال إرجائنا للمصالحة، كلما أحمرينا بالخجل بالأكثر. ألا تزال تخزى من الذهاب إلى من أساء إليك وتقدم له مصافحة السلام؟ فعل مصالحة كهذا سيفوز باستحسان كل إنسان ويستحق إكليلاً ونشيد مدح. إنه يقتني منفعة لنا وكنز مملوء ببركات لا تُحصى. عدوك نفسه سيستقبلك بابتهاج. كل شخص واقف بالقرب سيمتدحك. لكن حتى لو وبخك الناس ولاموك، الله بدون شك سيكللك.

لكن لو انتظرت حتى يأتي إليك عدوك أولاً ويطلب مسامحتك له، لن نقتني مثل هذه المنفعة العظيمة. سيسبقك هناك ويأخذ الجائزة قبلك وسيحوّل لنفسه كل البركات. لكن كيف يمكنك أن تؤذي نفسك أو تصير أسوأ لو سبقته ووصلت

هناك أولاً؟ بالعكس أنت تغلّبت على غضبك وأظهرت نفسك سامياً على أهوائك وأعطيت مثالاً حسناً لحياة الفضيلة. بكونك مطيعاً لله جعلت بقية حياتك مرغوبة بالأكثر وحررت نفسك من المتاعب والاضطراب.

ليس فقط أمام الله بل أيضاً في حكم البشر، إنه أمر خطير وفيه مخاطرة أن يكون لك أعداء كثيرين. بل لماذا أقول كثيرين؟ إنه من الخطورة أن يكون لك ولو عدو واحد، كما أنه مما يؤكد طمأنينتنا لو كان كل الناس أصدقاء لنا. لا فيض الغنى، لا أسلحة، لا حصون، لا خنادق أو أي شيء آخر بطبيعته، يمكن أن يعطينا أماناً مثل الصداقة الحقيقية.

الصداقة هي حصن، هي أمان، هي فيض غنى وثروة، هي نعيم. إنها تجعلنا نجتاز حياتنا ببهجة وتمنحنا نعمة الحياة الآتية. لذلك ليتنا نتأمل في كل هذه الأمور ولنعتبر كم هي منفعة عظيمة سنقتنيها منها لو عملنا كل شيء وأعددنا كل وسيلة لمصالحة أعدائنا معنا.

علاوة على ذلك لنعمل كل ما نستطيع حتى نمنع الخصومة بيننا والذين سيكونون أعداءنا. أخيراً لنعمل بأقصى جهد يمكننا لنجعل الأصدقاء الذين لنا أكثر أمناً في محبتهم لنا.

بالتأكيد الحب هو البداية والنهاية لكل فضيلة. ليته يحدث أن نستمتع بحب ثابت وحقيقي للآخرين وأن نأتي إلى ملكوت السموات بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوة إلى أبد الآبدين .. آمين.

العظة الخامسة

مقدمة

إنني تحدثت معكم فقط ليوم واحد، وبعد هذا اليوم أحببتكم كما لو كنت ترعرعت وتربيت معكم من أول يوم مولدي في الأرض. إن رباطات هذا الحب قد وحدتني بكم بنفس القوة كما لو كنت قد استمتعت بالبهجة العظيمة لمجتمعكم لوقت طويل جداً. ولم تكن طبيعتي الودودة والمصادقة (أي التي تحب الصداقة) هي التي سببت هذا، بل لأنني وجدتكم مشتاقين ومحبين أكثر من كل الآخرين. من لا يندهش ويعجب لغيرتكم الملتهبة، لحبكم الخالص، لعطفكم، لشعوركم الودي نحو من يعلّمونكم[1]، اتحاد ذهنكم واتفاقكم مع بعضكم البعض.

ألا تكفي كل هذه الأسباب لاجتذاب حتى من قلبه حجر إليكم؟ لهذا السبب أنا أحببتكم حباً لا يقل عن حبي للكنيسة (الإنطاكية) التي ولدت وترعرعت فيها. إن كنيستكم هي أخت لتلك الكنيسة وقد برهنتم بعملكم أن هذه القرابة موجودة. إن كانت كنيسة إنطاكية أقدم من جهة الزمن، فهذه الكنيسة (التي لكم) هي أكثر حرارة في إيمانها، واحتمالكم وصبركم عظيمان، وهذا دليل قوي على قوة روحكم.

إن الذئاب (يقصد الآريوسيين والأنوميين) يحيطون بكم من كل جانب، لكن قطيعكم لا يتلاشى. بحر عاصف، زوابع وأمواج أحاطت باستمرار بهذه السفينة

١- هنا ذهبي الفم يصف شعور شعب القسطنطينية عقب العظة الأولى التي ألقاها على الشعب، ويبدو أن هذه هي ثاني عظة يلقيها بعد تنصيبه بطريركاً هناك.

المقدسة، لكن الذين يبحرون عليها لم تبتلعهم المياه. نيران الهراطقة تهدد بلهيبها المحيط من كل جانب، لكن الذين في وسط الأتون يستمتعون ببركات الندى السماوي. بنفس النمط إنه شيء عجيب وغير متوقع أن ترى كيف أن هذه الكنيسة غُرست في هذا القطاع من المدينة، أن تراها هنا، هو مثل رؤية شجرة زيتون مزهرة (أي فيها زهور الثمر) محمّلة بالثمر، لكن واقفة في وسط الأتون.

داود وجليات

حيث أنكم هكذا عطوفو القلب وعاقلون، حيث أنكم تستحقون نعماً لا حصر لها، هلموا الآن ودعوني – بكل الحب – أوفي الوعد الذي قطعته لكم حديثاً عندما ناقشت معكم أسلحة داود وجليات. في حديثي أظهرت أن جليات كان محمياً بقوة أسلحته وقوة درعه، بينما داود لم يكن له من عدّة السلاح الكاملة هذه (شيء يُذكر)، لكنه كان متقوياً بالإيمان.

كان لجليات الحماية الخارجية من درعه اللامع وترسه، بينما داود لمع من الداخل بنعمة الروح. لهذا السبب تغلّب الصبي على الرجل، لهذا السبب من لم يتقلّد أي سلاح بالمرة، هزم من هو مدجج بالسلاح.

لهذا السبب طرح راعي الغنم الجندي. لهذا السبب حجر أملس في يد الراعي هشّم وكسر أسلحة الحرب البرونزية.

لذلك فلنأخذ في يدنا هذا الحجر الأملس، أقصد حجر الزاوية، الصخرة الروحية. إن كان بولس قد تفكر بهذه المعاني في صخرة الصحراء (التي خرج منها ماء للشرب للشعب) فلن يستاء أحد مني لو فهمت حجر داود بنفس المعنى. في حالة اليهود في البرية، لم تكن طبيعة الحجر المرئي بل قوة الحجر

الروحي هي التي أخرجت أنهار الماء تلك. كذلك أيضاً في حالة داود لم يكن الحجر المرئي بل الحجر الروحي هو الذي ضرب رأس البربري.

لهذا السبب في ذلك الوقت أنا وعدت أنني لن أقول شيئاً قائماً على براهين عقلية "إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله" (٢كو١٠:٤، ٥).

لذلك نحن تلقينا أمراً أن نهدم الظنون (والتعليلات) لا أن نمجّدها. نحن تلقينا أمراً أن نلاشي الأفكار السفسطائية وأن لا نسلّح أنفسنا بها والكاتب الملُهَم (بالروح) يقول: "لأن أفكار المائتين جزوعة" (حك سليمان ٩:١٤). لماذا يقول جزوعة؟ حتى لو سار الإنسان الجزوع (أي الجبان) في موضع فيه أمان، لا يشعر بجسارة بل يرتعب من الخوف. كذلك أيضاً حتى لو كان حقاً، الشيء الذي تم إثباته بتعليلات عقلية، فهذه البراهين لا تقدم اليقين assurance الكافي تماماً ولا (تقدم) الإيمان الذي هو وافي للنفس (ويشبعها تماماً).

محاربة الهراطقة بالكتاب

حيث أن التعليلات (البراهين) العقلية ضعيفة جداً، هلموا لنلتحم في معركة مع خصومنا متخذين براهين الكتاب كأسلحة لنا.

من أي مصدر سأبدأ حديثي؟ من أي مصدر ترغبونه سواء من العهد الجديد أو من القديم. يمكننا أن نرى أن مجد الابن الوحيد يبرق بفيض عظيم من الضوء ليس فقط في كلمات الإنجيليين والرسل، بل أيضاً فيما قاله الأنبياء وفي العهد القديم كله. أعتقد أنه من الأفضل أن أُحارب خصوصاً بأسلحة مأخوذة من العهد القديم، لأنه لو أخرجت براهيني من ذلك المصدر، أستطيع أن

أطرح ليس فقط هؤلاء الأعداء، بل أيضاً هراطقة كثيرين، أقصد ماركيان، ماني، فالنتيان وكل اليهود. عندما سقط جليات بيد داود، هرب كل جيش الفلسطينيين. شخص واحد قُطعت رأسه ومات، لكن الجيش كله شارك في الهزيمة الجبانة. كذلك أيضاً عندما تُطرح هرطقة واحدة وتسقط، ستكون هناك هزيمة يشارك فيها كل الذين ذكرتهم.

يبدو أن المانيين وكل من هو مصاب بمرضهم يقبلون المسيح الذي تم التنبؤ به، لكنهم يزدرون بالأنبياء ورؤساء الآباء الذين تنبأوا عنه. ومن ناحية أخرى فإن اليهود يقبلوا ويوقّروا هؤلاء الذين تنبأوا عن المسيح أقصد الأنبياء وموسى معطي الناموس لكنهم يزدرون بمن تنبأوا عنه لهم.

لذلك عندما بنعمة الله نبرهن أن المجد العظيم للابن الوحيد سبق فأخبر به العهد القديم، سيمكننا أن نخزي كل الأفواه التي تحارب ضد الله ونلجّم ألسنتهم المجدِّفة. عندما يتّضح أن العهد القديم قد تنبأ عن المسيح، أي حجة (أو دفاع) سيكون هناك للمانيين وكل من ينضم إليهم في الازدراء بالكتاب، حيث أنه قد سبق فأخبر بمجيء سيدنا ورب الكل؟ وأي عذر أو مغفرة سيكون لليهود لو رفضوا أن يقبلوا من تنبأ عنه الأنبياء؟

حيث أن ثروتنا من الأسلحة التي تجلب النصرة كثيرة جداً، لنحوِّل دفة حديثنا إلى الأسفار القدامى وللسفر الذي هو أقدم من كل الأسفار، أقصد سفر التكوين ولنمضي إلى بدايته ذاتها. لكي تعلموا أن موسى كان لديه الكثير ليقوله عن المسيح، اسمعوا للمسيح نفسه عندما يقول: "لأنكم لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدّقونني لأنه هو كتب عني" (يو٥:٤٦). أين كتب موسى عنه؟ سأحاول الآن أن أبيّن هذا.

إن كل الخليقة تهيأت، السموات كانت متوّجة بمجموعات مختلفة من النجوم، والأرض من أسفل تتلألأ بكل نوع من الزهور. إن قمم الجبال وصلت إلى أقصى ارتفاعها، الحقول والوديان وكل وجه الأرض امتلأ بالنباتات والأشجار والأعشاب... عندما أُعدّ كل شيء ولم يُترك شيء ناقص، آنذاك بحث الجسد عن رأسه، فتشت المدينة عن حاكمها والخليقة عن ملكها. بالطبع بهذا أقصد الإنسان.

عندما كان الله موشك أن يشكل الإنسان قال: "لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك١:٢٦). لمن قال هذا؟ من الواضح تماماً أنه كان يتكلم مع ابنه الوحيد. إن الله لم يقل: "اعمل" إنه ما أرادكم أن تظنّوا أن ما قاله كان أمراً مُعطى لعبد أو خادم. إنه قال "لنعمل" لكي من صفة التشاور التي تحددها كلماته، يمكنه أن يكشف المساواة في الكرامة التي تخص من هو يتحدث إليه. لأنه يقال أحياناً أن الله له مشير،وأحياناً (أخرى) يقال أن لا مشير له.

ليس هذا لأن الكتاب يناقض نفسه، بل لأنه يكشف لنا عن تعاليم لا يُنطق بها بكلا الطريقتين من التعبير. عندما يرغب الكتاب في إظهار أن الله غير محتاج لأحد، يقول أن لا مشير له (انظر إش٤٠:١٣)، وعندما يرغب في أن يظهر المجد المساوي للابن الوحيد يدعو ابن الله مشيره (انظر إش٩:٦).

إن الكتاب يرغب في تعريفكم بكلا التعليمين. إنني أرغب في أن تعرفوا أن الأنبياء دعوا الابن مشير الآب ليس لأن الآب يحتاج إلى مشورة الابن، بل لكي تعرفوا كرامة (مجد) الابن الوحيد.

اسمع لبولس لكي تعلم أن الآب لا يحتاج لمشير. إن بولس يقول: "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء.

لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً؟" (رو١١:٣٣، ٣٤). لذلك بولس هنا أظهر أن الآب غير محتاج لأن يأخذ مشورة من أحد.

أيضاً كان إشعياء هو الذي تحدث عن الابن الوحيد عندما قال هذا الكلام: "وسيكونوا راضيين لو حُرقوا بالنار. لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً ويُدعى اسمه ملاك المشورة العظمى مشيراً عجيباً" (إش٩:٥، ٦ بحسب النص). إن كان هو مشيراً عجيباً فكيف أن بولس قال: "لأنه من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً" (رو١١:٣٤)؟

إن السبب هو كما قلت منذ قليل هو لأن بولس يريد أن يبين أن الآب لا يحتاج إلى مشير له. لكن النبي يريد أن يظهر الكرامة المساوية للابن الوحيد. ولهذا السبب في نص التكوين لم يقل الآب اصنع هذا" أو "افعل هذا" بل قال "لنعمل" (تك١:٢٦). لأنه أن تقول "اصنع هذا" هو استخدام لكلمات تليق بأمر يُعطى لعبد. وما سأخبركم به الآن يوضح هذا.

قصة قائد المئة

مرة جاء قائد مئة إلى يسوع وقال: "يا سيد غلامي مطروح في البيت مفلوجاً متعذباً جداً" (مت٨:٦). فماذا قال له يسوع؟ "أنا آتي وأشفيه" (مت٨:٧). لكن قائد المائة لم تكن له الجسارة ليجتذب الطبيب إلى بيته. لكن المسيح بسبب اهتمامه ورأفته وعد عن طيب خاطر أنه سيمضي إلى بيت قائد المئة. إنه تصرَّف هكذا لكي يعطي قائد المئة سبباً وفرصة لكي يظهر تقواه الشخصية. إن المسيح علم ما كان قائد المئة مزمعاً أن يقوله، لكنه مع ذلك وعد أنه سيمضي (معه). لماذا؟ لكي تعرفوا كم كان هذا القائد تقيّاً وورعاً.

ماذا قال قائد المئة؟ "يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي" (مت٨:٨). إن آلام مرض عبده لم تجعل قائد المئة ينسى ميول قلبه المتّسمة بالتقوى. وحتى في وسط البليّة فإنه تعرّف على سمو السيد (الرب). لهذا السبب قال: "قل كلمة فقط فيبرأ غلامي. لأني أنا أيضاً إنسان تحت سلطان. لي جند تحت يدي. أقول لهذا اذهب فيذهب ولآخر ائت فيأتي ولعبدي افعل هذا فيفعل" (مت٨:٨-١٠).

هل ترون أن الكلمات "افعل هذا" هي كلمات أمر من سيد لعبده؟ لذلك كلمات "لنعمل (الإنسان)" هي كلمات من يكلّم آخراً مساو له في الكرامة. عندما يتحدث سيد لعبده يقول له "افعل هذا"، لكن عندما يكلم الآب ابنه "لنعمل (هذا)".

سيقول الهراطقة: لنفترض أن قائد المئة خمّن هذا.

لكن ما توقعه ألم يكن هو الحقيقة؟ لم يكن قائد المئة رسولاً. هل كان؟ لم يكن تلميذاً. هل كان تلميذاً حتى نقبل ما يقوله؟ لننظر إلى ما تلا ذلك. هل صحح المسيح ما قاله قائد المئة (على اعتبار أنه خطأ)؟ هل وبّخ المسيح قائد المئة لكونه اخطأ وقدّم تعاليم فاسدة؟ هل قال له المسيح: "يا صديقي لماذا تفعل هذا؟ إن رأيك فيّ هو أعظم مما هو لي بالفعل. أنت تظهر لي معروفاً أكثر مما استحق. أنت تظن أنني أعطي أوامر، لأن لي سلطاناً، لكن أنا ليس لي سلطان".

المسيح لم يقل شيئاً مثل هذا. هل قال؟ بالطبع لا.

بل إن المسيح أكّد ما ظنه قائد المئة عنه وقال لمن كانوا يتبعونه: "الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا" (مت٨:١٠). لذلك فإن مدْح

السيد يصادق على ما قاله قائد المئة. لم تعد هذه كلمات منطوقة من قائد المئة بل هي الآن تعبّر عن تصريح من السيد (الرب). لأنه عندما يمتدح المسيح ما قد قيل وأعلن أن ما قيل، قيل عن صواب، فإنني آخذ هذه الكلمات على أنها نطق إلهي. لأنها قد نالت تأكيداً من فوق بسبب ما قاله المسيح إجابة عليها.

توافق العهد القديم مع الجديد

هل ترون كيف أن العهد الجديد يتّفق مع القديم وكيف أن كلاً منهما يبين أن المسيح له سلطان؟ .

لكن ماذا عن هذا؟ لنفترض أن المسيح صنع الإنسان، لكنه وهو يصنعه تصرّف فقط كخاضع (للآب). يكفي هذا النزاع السخيف غير اللائق! لأنه عندما قال الله "لنعمل الإنسان" لم يُضف "على صورتك التي هي أقل من صورتي" ولا قال: "على صورتي التي هي أعظم من صورتك". بل ماذا قال الله؟ "على صورتنا كشبهنا" (تك١:٢٦)، وبكلامه بهذه الطريقة أظهر أنه يوجد صورة واحدة للآب والابن. لأنه لم يقل "صور" بل قال "صورتنا". لا يوجد صورتان غير متساويتان، بل نفس الصورة المتطابقة للابن والآب.

لهذا السبب قيل أن الابن يجلس عن يمين الآب، لكي تعلموا أن لهما نفس الكرامة ونفس القوة.

الجلوس على العرش بنفس الكرامة وبالضبط بنفس الطريقة هي علامة على قوة ربوبية. الوقوف بجانب العرش هي علامة على قوة خاضع يفعل ما يؤمر به.

لكي تعرفوا أن هذا حقيقي، اسمعوا ما يقوله دانيال: "كنت أرى أنه وضعت

عروش وجلس القديم الأيام. ألوف، ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه" (دا ٧:٩، ١٠). وأيضاً إشعياء قال: "رأيت السيد (الرب) جالساً على كرسي عالٍ (عرش). والسيرافيم واقفون حوله ويخدمونه" (إش٦:١، ٢). وميخا (بمن يملة) قال: "رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره" (١مل٢٢:١٩).

هل ترون أنه في كل هذه النصوص القوات السماوية واقفة وتخدم بينما الرب جالس؟ لذلك عندما ترون أن الابن أيضاً جالس عن يمين الآب لا تظنوا أن كرامته هي كرامة من هو يخدم ومن هو أدنى منه. ينبغي لكم أن تلاحظوا أن كرامته هي كرامة سيد (رب) له سلطان.

إن بولس الرسول فهم كلا الشيئين وهما أن تقف بجانب وتلازم يليق بمن يخدم، لكن الجلوس هو علامة لمن يعطون أوامر وتوصيات. انظر كيف ميّز بينهما عندما يقول: "عن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار" (عب١:٧). "وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" (عب١:٨) وبواسطة الكرسي يرينا القوة الملوكية للابن.

لذلك حيث أن حديثنا قد برهن بكل هذه النصوص أن الابن لم يُقيَّم كمن هو يخدم، بل أن له كرامة تليق بسيد، لنعبده كرب لنا بسبب أنه مساوٍ في الكرامة للآب. هو نفسه أوصانا بعمل هذا عندما قال "لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب" (يو٥:٢٣).

لنربط استقامة طريق حياتنا والأعمال (الصالحة) التي نعملها إلى صحة التعاليم التي نتبناها (نقبلها) لكي ما يختص بخلاصنا لا ينقسم إلى اثنين.

المجيء إلى الكنيسة ضرورة ملحّة

لا شيء يمكن أن يجعل حياتكم مستقيمة ويجعلها صحيحة تماماً مثل مواظبتكم على حضور الكنيسة وانتباهكم الشغوف لسماع ما يقال هنا. كما أن الطعام يغذي الجسد، هكذا تعليم كلمة الله يغذي النفس. "(مكتوب) ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤:٤). إنه لذلك يعلم أن الإخفاق في المشاركة في هذه المائدة (التي لتعليم كلمة الله) يسبب مجاعة.

لذلك أنصتوا لله عندما صنع هذا الوعد والذي أيضاً ثبّته كتهديد عقوبة وانتقام. لأنه قال: "هوذا أيام تأتي يقول السيد الرب أرسل جوعاً في الأرض، لا جوعاً للخبز ولا عطشاً للماء بل لاستماع كلمات الرب" (عا٨:١١). فكيف يكون من السخافة أن نشغل أنفسنا ونصنع كل شيء لندفع عنا جوع الجسد، وبمحض إرادتنا نأخذ لأنفسنا جوع النفس؟ هل نفعل هذا مع أن مجاعة النفس هي أكثر صعوبة وخطورة بقدر ما أن الخسارة والتلف الذي نعانيه يتضمن أشياء أكثر أهمية (من الجسد والترابيات)؟

أطلب وأتوسل إليكم ألا نعطي مثل هذا الاهتمام القليل لأنفسنا، لنفضّل الوقت الذي نقضيه هنا في الكنيسة عن أي شغل ومشغوليات أخرى.

أخبروني هذا: أية منفعة تجنيها يمكن أن تفوق في الأهمية الخسارة التي تجلبها لنفسك وكل بيتك عندما تظل بعيداً عن الخدمات الدينية (في الكنيسة)؟ لنفترض أنك وجدت كنزاً مملوء ذهباً، وهذا الاكتشاف هو سبب بقائك بعيداً (عن الكنيسة). إنك فقدت أكثر مما وجدت وخسارتك أعظم جداً بقدر ما أن الروحيات أفضل من المرئيات (الماديات التي نراها بعيوننا).

حتى لو كانت تلك النعم الأرضية كثيرة في العدد وتتدفق إلينا من كل جانب، فهي لا تذهب معنا إلى الحياة الآتية. إنها لا تحيل الأرض إلى السماء ولا تقف بجانبنا ساعة الدينونة الرهيبة. بل إنها كثيراً ما تتسرب منا وتتخلّى عنا حتى قبل نهاية الحياة. وحتى لو بقيت معنا إلى نهاية العمر، فإنها تنقطع عنا تماماً عندما تنتهي حياتنا. لكن كنز الروح هو ملكية لا يمكن أن تُنزع منا. إنه يتبعنا أينما ذهبنا وإلى حيثما سافرنا. إنه يعطينا دالة عظيمة عندما نقف أمام منبر الدينونة.

مميزات المشاركة في الاجتماعات المسيحية

إن كانت المنفعة من تجمعات (اجتماعات) أخرى هي عظيمة جداً، فإن المنفعة التي نجنيها من الاجتماعات في الكنيسة هنا هي منفعة مضاعفة.

بالتأكيد نحن نجني منفعة لأننا ننعش نفوسنا بكلمة الله. لكن ليس هذا هو المكسب الوحيد. نحن ننتفع أيضاً بسبب أننا ننثر خزي عظيم على أعدائنا (الهراطقة)، ولأننا نمنح راحةً وتشجيعاً لإخوتنا. لأن هذا هو نوع المنفعة التي تأتي لجيش يتم اجتذابه للمعركة عندما نسارع للخطوط (الأمامية) التي في ضيق ومملوءة بالخطر.

لذلك السبب ينبغي أن نأتي كلنا هنا في الكنيسة ونرُدّ هجمات أعدائنا. هل ترون أنه لا يمكنكم أن تعظوا حديثاً مطوّلاً، وأنه ليس لكم تعليم لتعطوه؟ فقط تواجدوا هنا في الكنيسة وبذلك تكونوا قد فعلتم كل شيء عليكم أن تعملوه. إن وجودك في الكنيسة هو إضافة إلى قطيع الرعيّة. لو أنت متواجد هنا، ستجعل إخوتك جاهزين وراغبين في محاربة العدو. وفي نفس الوقت ستغطي أعداءك بخزي الهزيمة.

لنفترض أن إنساناً جاء من خلال هذه الأبواب المقدسة (للكنيسة) ورأى أن الاجتماع صغير (العدد). فهو جاء لكونه صار مستعداً وراغباً في الانضمام إلى المعركة (ضد الهراطقة)، لكن إذ يرى قلة عدد الناس هنا تنطفئ رغبته.

فإنه يتخدّر ويتقاعس ويشعر بتردد أكثر وقلة استعداد للقتال، وهكذا يمضي بعيداً. وبهذه الطريقة يصير كل اجتماع لنا تدريجياً أكثر ضَعفاً وغير مبالي بالأكثر. لكن لنفترض أن هذا الإنسان يرى الناس يسارعون سوياً بحماس وغيرة ولنفترض أنه يراهم يتدفقون إلى الكنيسة من كل جانب، فإن استعداد الآخرين يخدم كقاعدة (أو كسبب) يجعله أكثر تلهفاً ورضى، حتى لو صار قلبه بليداً ومتراخياً.

لو تم حك حجر ضد آخر، ألا يجعل هذا الشرار ينطلق؟ أليس هذا حقيقياً مع أنه لا شيء أبرد من الحجر ولا شيء أكثر سخونة من النار؟ مع ذلك فالاحتكاك المستمر تغلَّب على الطبيعة الباردة للأحجار. لو يحدث هذا للأحجار فسيحدث بالأكثر للنفوس التي تحتك (روحياً) سوياً والتي بعد ذلك تصير ملتهبة بنار الروح (القدس).

ألم تسمع في وقت أجدادنا (بالروح) أن عدد من آمنوا كان (فقط) مئة وعشرين (انظر أع ١:١٥)؟ بل قبل أن يؤمن هؤلاء كان العدد فقط اثني عشر. وليس كل الاثني عشر ثابروا بل واحد منهم وهو يهوذا هلك، بعد ذلك لم يتبق له إلا الأحد عشر.

لكن من الأحد عشر أتى المائة والعشرين، ومن المائة والعشرين أتى الثلاثة آلاف وبعد ذلك الخمسة آلاف، وبعد ذلك ملئوا العالم كله بمعرفة الله. السبب في هذا النمو كان أنهم لم يتركوا أبداً اجتماعهم (سوياً). إنهم كانوا باستمرار مع

بعضهم البعض، يقضون اليوم كله في الهيكل ويوجِّهون انتباههم إلى الصلوات والقراءات المقدسة. لهذا السبب أشعلوا ناراً (روحية) عظيمة، ولهذا السبب لم تتضاءل قوتهم، (بل) لهذا السبب اجتذبوا إليهم كل العالم. نحن أيضاً ينبغي أن نقتدي بهم.

حضور الأسر كلها للخدمات في الكنيسة

لنفترض أننا أخفقنا في إظهار اهتمام وعناية كثيرين لإخوتنا في الكنيسة كما يظهر النساء لجاراتهن. ألن يكون هذا سخيفاً؟ لكن عندما ترى النساء صبيّة فقيرة وليس من يعولها، كلهن يأخذن موضع أقربائها ويساعدونها من مصادرهن الخاصة.

وسترون جمعاً كبيراً في يوم خطوبة تلك الفتاة الفقيرة. ويحدث كثيراً أن بعض من النساء تساهمن بالمال، أخريات يحضرن شخصياً، وهذا ليس بأمر زهيد، فإن اشتياق أولئك النسوة يخفي حالتهن الوضيعة (فقرهن). وبهذه الطريقة يخفين فقرهن بإظهار أنفسهن مستعدات ولديهن رغبة للمساعدة. ينبغي أن تعملوا هذا لكنيسة القسطنطينية.

لنسارع إلى المجيء من كل صوب ولنغط فقرها، بل لنحررها من فقرها بالمجيء إلى هنا دوماً. الرجل هو رأس المرأة (أف٥:٢٣)، المرأة معيّنة للزوج، لذلك لا تدعوا الرأس يُتاح لها أن تقف في هذا الموضع المقدس بدون جسدها، لا تدعوا الجسد يُرى بدون رأسه، بل ليأت إلى هنا كل كيان بشري، رأس وجسد (أي رجال ونساء) ويحضرون أولادهم معهم.

إنه شيء مبهج أن ترى شجرة وفرعاً جديداً يقوم من عند جذورها. لكنه

أكثر بهجة أن ترى الإنسان – الذي هو مبهج أكثر من شجرة الزيتون – ومعه ابنه الخارج من صلبه وواقف بجانبه مثل نبتة جديدة. لأنه كما قلت سيكون من هذا الولد مكافأة أعظم للاجتماع.

نحن لا نندهش من الفلاح عندما يعتني بأرض زرعت مرات كثيرة من قبل، بل نُعجب به عندما يأخذ أراضي (بور) لم تُزرع أو تُفلح من قبل ويعتبرها جديرة بالاهتمام وبذل الجهد. هذا ما اعتاد بولس عمله عندما كان متلهفاً لنشر الإنجيل في أماكن حيث لم يُسمع فيها أبداً عن اسم المسيح. لنقتدِ ببولس لكي نجعل الكنيسة تتقدم وتساعد (حرفياً نساعد) نفوسنا.

لنسارع للحضور إلى هنا في كل اجتماع. لو تحرقت في قلبك شهوات رديئة فإن مجرد رؤية بيت الصلاة هذا سيمكّنك بسهولة من إطفاء هذا اللهب. لو أنت في نوبة هيجان، لن يكون هناك تعب في تهدئة الوحش (داخلك). لو أحدق بك أي هوى آخر، سيمكنك أن تقمع العاصفة وتجلب هدوء وسلام إلى نفسك.

ليت كل هذا يتم حتى نستمتع كلنا بهذا السلام بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد مع الآب والروح القدس الآن وإلى أبد الآبدين .. آمين.

العظة السادسة

مقدمة

تبارك الله!

في كل اجتماع أرى أن نتاج حقولنا قد نما، محاصيلنا مزهرة تماماً، بيدرنا قد امتلأ، حزمنا (جمع حزمة) تتضاعف. حتى لو حسبنا كم كانت الأيام قليلة منذ زرعنا هذه البذار، انظر كم غني هو المحصول الذي نبت بسبب طاعتكم. هذا يوضِّح أنه ليس قوة أي إنسان، بل نعمة الله هي التي تزرع وتعتني بهذه الكنيسة. لأن هذه هي طبيعة الزراعية الروحية. أنها لا تنتظر لوقت أو عدد أيام أو دورات شهور، أو مواسم مناسبة أو ملء سنوات.

في يوم واحد يمكن لزارع هذه البذار الروحية أن يحصد محصوله. يمكنه أن يفعل هذا في وقت قصير، لأن ذلك الوقت كان كاملاً وكافياً تماماً لهذه المهمة[1].

لكن الذين يزرعون هذه الأرض التي نراها ونحسها ينبغي أن يعملوا باجتهاد عظيم ويلزم أن ينتظروا لفترة طويلة (حتى يروا الحصاد).

أولئك الفلاحون يلزمهم أن يضعوا المحراث على الثيران ليحرث ويعمل أخاديد عميقة ويلزمهم أن يزرعوا البذار بكثرة ثم يساووا سطح الأرض ويغطوا البذار التي زرعوها.

١- زراعة البذار الروحية لا يتوقف على موسم أو طقس، إذ أن الله هو الذي يعطي النمو.

بعد ذلك يلزمهم أن ينتظروا لسقوط الأمطار بالكميات المناسبة للبذار، وينبغي أن يعملوا بجد في مهام أخرى كثيرة وينتظروا لوقت طويل وأخيراً بعد ذلك يدركوا نهاية كل ما تعبوا فيه.

هنا في الكنيسة يمكننا أن نزرع ونحصد صيفاً وشتاءً. ويحدث كثيراً أن نزرع ونحصد في نفس اليوم خصوصاً عندما يحدث أن النفوس التي نزرعها تكون غنية وخصبة. وفي الواقع يمكننا أن نقول أن الأمر هو هكذا في حالتكم ولهذا السبب نحن نسارع إليكم بكل تلهف. لماذا؟ لأن الفلاح يعمل باجتهاد ليعد للزراعة، ذلك الحقل الذي منه امتلأ بيدره.

لذلك حيث أنكم قد قدمتم لي مقابلاً مجزياً بعد تعب قليل من جانبي، فأنا أتبنى مهمتي الزراعية وأعطيها كل انتباهي. أنني أتيت لأقدم لكم الخاتمة لما قلته من قبل. في ذلك الوقت أنا نسجت حديثي عن مجد ابن الله الوحيد الجنس من نصوص العهد القديم. الآن سأكمل عمل نفس الشيء وسآخذ بدايتي من نفس العهد.

في حديثي السابق ذكرت أن المسيح قال "لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني" (يو٥:٤٦). الآن أخبركم أن ما قاله موسى كان هذا: "يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك، من إخوتك مثلي له تسمعون" (تث١٨:١٥).

إن المسيح أعاد اليهود إلى موسى، لكي عن طريق موسى يمكنه أن يجتذبهم إلى نفسه. بنفس الطريقة سلّم موسى تلاميذه إلى معلّمه وأوصاهم أن يصدقوه في كل شيء.

لذلك لنصدق كل ما يفعله أو يقوله المسيح، في كل الأشياء الأخرى وأيضاً في تلك المعجزة التي سمعتموها في قراءة اليوم.

بِركة بيت حسدا

وماذا كانت تلك المعجزة؟

يقول الكتاب: "وبعد ذلك كان عيد لليهود، فصعد يسوع إلى أورشليم. وفي أورشليم عند باب الضأن بِركة يقال لها بالعبرانية بيت حسدا لها خمسة أروقة" (يو٥:١، ٢). بعد ذلك تقول رواية الإنجيل أنه عندما يصل ملاك في بعض الأحيان، اعتاد أن ينزل إلى البركة، وحضوره كان معروفاً عندما يتحرك الماء. وأوّل من ينزل البِركة بعد تحريك الماء يُشفى من مرضه أياً كان هذا المرض. "وفي هذه (الأروقة) كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمي وعرج وعسم يتوقعون تحريك الماء" (يو٥: ٣).

فلماذا يختار المسيح أورشليم باستمرار ولماذا يعتاد على الذهاب إلى اليهود في الأعياد؟ لأن هذه كانت الأيام التي تجتمع فيها الجموع، والمسيح اعتاد أن يلاحظ عن كثب ذلك الموضع وذلك الوقت (وقت الأعياد والازدحام) لكي يأتي لمن كانوا مرضى. لأن المرضى لم يكونوا متلهّفين على التحرر من أمراضهم مثل تلهف الطبيب على تحريرهم من أدوائهم وعللهم. لذلك عندما اجتمع جمع كبير والمحفل كان جاهزاً، حينئذٍ اعتاد هو المجيء في وسطهم ليبين الحقائق التي تجلب الخلاص لنفوسهم.

وهكذا كان هناك (عند البِركة) جموع من المرضى مضطجعين هناك منتظرين تحريك الماء، ومن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ أما الثاني فلا. الدواء قد استُهلك وقوة شفاء تلك النعمة قد أُنفقت. لذلك بقيت المياه مهجورة كما لو أن شفاء المريض الذي نزل أولاً إلى البِركة قد استنفذ كل قوتها للشفاء. وهذا أمر كان في حدود المعقول (أو المقبول) لأن النعمة جاءت من خلال عبد

(هو الملاك). لكن هذا لم يكن الحال بعد مجيء السيد (الرب). لم يكن أول من ينزل إلى مياه المعمودية هو الوحيد الذي يُشفى: الأول، الثاني، الثالث .. العاشر .. العشرين.. الكل كانوا يُشفون. حتى لو قُلت عشرة آلاف، ثلاثة أو أربعة أضعاف هذا العدد، لو قُلت عن أعداد بدون حصر، لو وَضعت العالم كله في بِركة المياه (التي للمعمودية) فلن تقِلّ نعمتها وهي تطهر كل هؤلاء الناس. ذلك هو الفرق العظيم بين قوة العبد وسلطان السيد.

العبد شفى شخصاً واحداً، بينما السيد يشفي العالم كله. العبد شفى شخصاً واحداً مرة في السنة، (لكن) لو أردت أن تعمّد عشرة آلاف كل يوم سيعيدهم السيد كلهم أصحّاء وسالمين.

العبد شفى بالنزول إلى البِركة وتحريك الماء، أما السيد فلا يفعل هذا. يكفي فقط الدعاء باسمه على المياه وهكذا تمنحها سبب القوة الكافية للشفاء. العبد شفى نقائص وتشوهات الجسد، أما السيد فيشفي خبث النفس. هل ترون كيف يتضح وكيف يصير بكل طريقة أن هناك فرق عظيم ويفوق القياس بين العبد والسيد؟

شفاء المفلوج (المشلول)

وهكذا كان هناك جمع من المرضى مضطجعين ينتظرون تحريك الماء. والموضع في الحقيقة كان مصحّة روحية.

يمكنك أن ترى في المصحة كثير من العميان، كثيرون مبتوري الرجل أو متوجّعين من أي عضو آخر. إنهم مضطجعون هناك على مرأى من الكل أثناء انتظارهم للطبيب.

كذلك أيضاً عند البِركة يمكنك أن ترى كثيرين من المجتمعين هناك. "وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة. هذا رآه يسوع مضطجعاً وعلم أن له زماناً كثيراً فقال له أتريد أن تبرأ. أجابه المريض يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في البِركة متى تحرك الماء. بل بينما أنا آتٍ ينزل قدامي آخر" (يو٥:٥-٧).

لماذا عبر المسيح على كل الآخرين وجاء إلى هذا الإنسان؟ إنه تصرف هكذا لكي يظهر قوته ورأفته. إن عمله أظهر قوته لأن مرض هذا الإنسان كان قد صار بالفعل عديم الشفاء وضعفه وصل إلى درجة يصعب فيها معاونته. إنه أظهر رأفته لأنه في اهتمامه وعنايته رأى أن هذا الإنسان كان أكثر من كل الآخرين مستحقاً لرحمته وإحسانه.

ليتنا لا نَعبُر بسهولة سواء على الموضع أو على الثمان وثلاثين سنة التي عاناها هذا الإنسان في قبضة المرض. ليت كل الناس يسمعون بحرص، كل الذين شاخوا في فقر لا ينتهي، كل الذين يعيشون بضعف مرضهم، كل الذين يعانون أزمات الأمور الدنيوية، كل الذين عاشوا مع العواصف الهائجة لمتاعب غير متوقعة. هذا المفلوج راقد أمامنا كميناء مفتوح للكل، كميناء آمن من البلايا البشرية. لا أحد أحمق جداً، لا أحد في غاية البؤس والضيق، لو نظر إلى هذا الإنسان لن يحتمل بشهامة وعن طيب خاطر المصاعب التي تحل به أياً كان نوعها.

لو كان مريضاً لمدة عشرين عاماً أو عشرة أو فقط خمسة، أما كانت السنين كفيلة بتدمير قوة نفسه؟ لكن هذا الإنسان لم يغادر البِركة بل بقى هناك لمدة ثمان وثلاثين سنة وبرهن على صبره العظيم. ربما تظن أن طول الزمن الذي

أمضاه كان شيئاً يثير الإعجاب. لكن لو أنصتّ لما قاله، حينئذٍ على الأخص ستأتي إلى معرفة فضيلة ونظام كل طريقة حياته كلها وتعرف كل الصبر الذي به احتمل قدَره.

وقف المسيح هناك وسأله: "أتريد أن تبرأ؟" (يو٥:٦). ومن لم يعرف أنه يريد أن يبرأ؟ فلماذا سأله المسيح؟ بالتأكيد لم يكن لأن المسيح يجهل كيف سيجيب هذا الإنسان. الذي يعرف الأفكار المخفية في أذهاننا بأكثر تأكيد عرف ما كان واضحاً وظاهراً للكل.

فلماذا سأل هذا السؤال؟ إنه كان لنفس السؤال كما عندما قال – في وقت آخر – قال لقائد المئة: "أنا آتي وأشفيه" (مت٨:٧) لم يكن لأنه جهل بما كان مزمعاً أن يقوله قائد المئة، بل لأنه عرف هذا مقدماً وفهمه بالضبط. بل هو أراد أيضاً أن يعطي قائد المئة سبباً وفرصة للكلام حتى يرى الكل روحه التقيّة التي كانت محتجبة في الظل ولكي يقول "يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي" (مت٨:٨).

كذلك أيضاً في حالة هذا المشلول. علم المسيح ما كان مزمعاً هذا الإنسان أن يقوله، لكنه مع ذلك سأله؟ إن كان يريد أن يُشفى. لم يسأله المسيح لأنه كان يجهل الإجابة، بل سأله لكي يعطي المشلول فرصة وسبباً ليخبر عن مأساته الشخصية بتعبيرات درامية، ولكي يعلّمنا درساً في الصبر.

لأنه لو شفى المسيح هذا الإنسان دون أن يسأله هذا السؤال، لكنا عانينا أعظم خسارة. لماذا؟ لأنه آنذاك ما كنا تعلّمنا من المفلوج هذا الدرس في الصبر وجَلَدْ نفسه (أي احتماله).

إن المسيح شفى وصحح العلّة التي كان يعاني منها هذا المفلوج في ذلك

الوقت. بل كان أيضاً ينظر بعين الاعتبار إلى العلل الآتية في المستقبل للآخرين والتي كانت أيضاً تستحق اهتمامه. لذلك هو أظهر (كشف حقيقة) هذا الإنسان الذي سيعلّم كل المسكونة درساً في الصبر والاحتمال. كيف فعل المسيح هذا؟ إنه فعل هذا بوضع المفلوج في وضع من عليه أن يجيب على السؤال: "أتريد أن تبرأ؟".

فبماذا أجاب المفلوج؟ إنه لم يأخذ السؤال بنيّة سيئة ولم يَصِر غاضباً ولم يجب قائلاً:]ها أنت ترى أنني مشلول وتعلم كم من الزمن أنا مريض. فهل لا تزال تسألني إن كنت أريد أن أبرأ؟ هل أتيت لتسخر من بليّتي وتستهزئ بمتاعب شخص آخر؟ ويمكنك أن تتأكد أن المرضى مكتئبون حتى لو كانوا قابعين في الفراش لمدة عام. لكن عندما يكون مرضك رفيقك الدائم لمدة ثمان وثلاثين سنة، كيف يمكن على الأرجح أن تقواك وضبط ذاتك لم ينقضيا ويفرغا على مدى هذا الوقت الطويل؟.

لكن هذا المفلوج لم يقل أو يفكر بشيء من هذا القبيل. وبتعقل عظيم صنع رده وقال: "يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء" (يو٥:٧). انظر كم أن متاعب كثيرة اجتمعت لتحاصره. إنه كان مريضاً وفقيراً وليس له أحد يقف بجانبه "بينما أنا آت ينزل قدامي آخر".

إن خيبة الأمل هذه لهي مثيرة للشفقة أكثر من كل ظروفه الأخرى. فهي بحد ذاتها كفيلة باستمالة وتحريك القلب الحجري. أستطيع أن أتخيل رؤيتي للرجل كل سنة يزحف ويأتي إلى حافة البِركة، أستطيع أن أتخيله كل سنة متعلقاً بنفس بصيص الأمل أن رجاءه يتكلل بنهاية سعيدة. وما هو أسوأ أنه احتمل هذا ليس لسنة أو اثنتين أو عشرة بل لثمان وثلاثين سنة. إنه أظهر كل

جهد ممكن لكنه أخفق في الوصول إلى المكافأة. وأيضاً الصعوبة الأكثر هي حقيقة أنه يرى آخرين (ممن جاءوا بعده بكثير) يُشفوا من أمراضهم. لأنكم بالتأكيد تعلمون أننا نتلقى الإحساس بمتاعبنا ذاتها عندما نرى أن الذين سقطوا في نفس الأمراض الصعبة إنما قد تحرروا منها.

لهذا السبب يشعر أي فقير بفقره بالأكثر عندما يرى (أمامه) من هو غني. المريض يشعر بألم أكثر عندما يرى كثيرين ممن كانوا مرضى قد تخلصوا من أمراضهم بينما هو ليس له رجاء في مثل هذه النهاية السعيدة. وهذا ما حدث للمفلوج في ذلك الوقت. حقاً إنه كان يكافح ضد المرض والفقر وبقاءه وحيداً لوقت طويل جداً. حقاً أنه رأى آخرين شفوا من أمراضهم بينما هو لا يزال يحاول، لكن لم تكن له أية قوة لإدراك النجاح. حقاً هو لم يكن له أيضاً أي توقع في أنه يتخلص من مرضه. مع هذا لم يغادر البِركة ويمضي، بل كل سنة كان يسارع إلى المياه على قدر ما يَسمح به مرضه.

أما نحن فبعد أن نصلي مرة من أجل صنيع أو آخر ولا نحصل عليه نصير منزعجين ونسقط في حزن عميق ونصير غير مبالين تماماً، وننسحب من (مخدع) الصلاة ونضع نهاية لكل جهد مبذول. هل يمكننا أن نمتدح المفلوج بقدر ما يستحق؟ هل ندين أنفسنا بما فيه الكفاية لإهمالنا؟ أي دفاع أو عفو نستحقه عندما نرخي جهودنا ونخور سريعاً بينما وقف هو بثبات وصبر لمدة ثمان وثلاثين سنة؟

فماذا فعل المسيح؟ عندما أظهر المفلوج أنه جدير بالشفاء، عن صواب ذهب إليه المسيح قبل الآخرين وقال له: "قم. احمل سريرك وامش" (يو٥:٨). هل ترون كيف أن الثمان والثلاثين سنة لم تضرّه، لأنه احتمل كل شيء بصبر؟ إن

روحه صارت أكثر تقوى وتهذيباً في هذا الزمن الطويل. إنها قد اُختبرت ببليته كما في أتون، ولذلك نال الشفاء بمجد أعظم. لأنه لم يكن ملاك بل رب الملائكة هو الذي شفاه.

لماذا أمره المسيح أن يحمل سريره؟

على الأخص لهذا السبب الذي كان أول وأهم مقصد له. إنه تصرف هكذا لكي يحرر اليهود مستقبلاً من ملاحظة الناموس (حرفياً). عندما تشرق الشمس لا يكون هناك أي احتياج للجلوس بجانب المصباح. وعندما تم إظهار الحقيقي لم يعد لليهود أن يتعلقوا بالمثال.

أيضاً حتى لو أن المسيح كسر شريعة السبت، فهو كسرها بعمل معجزة عظيمة جداً في ذلك اليوم. لماذا فعل هذا؟ هو تصرف هكذا لكي القيمة الفائقة للمعجزة التي صنعها، تُدهِش الذين عاينوها وتخرّب ملاحظة الراحة في السبت وتدريجياً تنهي عليه.

السبب الثاني كان إغلاق أفواههم الوقحة. إن الأحكام التي كانوا يصنعونها بشأن معجزاته كانت في غاية الخبث. إنهم كانوا يحاولون بنميمتهم (بذمهم في شخصه) أن يحجبوا مجد ما كان يفعله. لهذا السبب هو أمر المفلوج أن يعمل عرضاً علنياً بحمله سريره، كما لو كان يعرض تذكاراً لهزيمة مرضه ليمنع اليهود عن قول ما قالوه في حالة المولود أعمى.

وما الذي قالوه عنه؟ "هذا هو الرجل وآخرون قالوا لا بل يشبهه" (انظر يو٩:٨، ٩). ليمنعهم من التعبير بأيٍّ من هذه الشكوك في شخصية المفلوج أمره أن يحمل سريره، والسرير المرفوع كان جحداً لوقاحتهم واتهاماً لسلوكهم المشين.

يمكنني أيضاً أن أعطي سبباً ثالثاً، سبباً لا يقلّ في قوته عن السببين الآخرين. أمر المسيح المفلوج أن يحمل سريره لكي تعلموا أن المعجزة بأكملها لم تكن مهارة بشرية هي التي صنعتها بل قوة إلهية. بهذه الطريقة قدَّم المسيح أقوى وأعظم دليل على أن المفلوج قد استعاد صحته تماماً وبالحق.

إنه تصرف هكذا حتى لا يقول واحد من هؤلاء المجدِّفين أن المفلوج كان يتصرف مجاملة للمسيح وادّعى الشفاء، ولجميل أو معروف للمسيح ادّعى أنه يسير بدون معونة.

لهذا السبب أمره المسيح أن يحمل سريره على كتفيه. وهو ما كان يستطيع أن يفعل هذا لو لم تكن أطرافه ومفاصله قد تشددت. بالإضافة إلى كل هذا هو أيضاً أظهر أنه إن أعطى المسيح أمراً فكل شيء يتم في لحظة، إذ تحرر من مرضه واستعاد الصحة.

حتى لو حرر الطبيب مرضاه من المرض، فإنه لا يمكنه استعادة صحتهم في لحظة واحدة. بل يحتاجون إلى فترة طويلة (من النقاهة) حتى يشفوا وتتلاشى تدريجياً آثار المرض وتترك الجسد.

لكن المسيح لا يشفي بهذه الطريقة إذ في لحظة واحدة يُشفى المريض ويستعيد الصحة تماماً. ولا توجد هناك فترة (فاصلة) بين الشفاء واستعادة الصحة. إن كلمة المسيح أتمّت كل هذا.

لكن كلماته لم تكن مجرد كلمات إنسان، بل هي كلمات الله والتي عنها قال النبي: "أعمال كلامه عظيمة" (يؤ٢:١١ حسب الترجمة السبعينية). لأنه إن كانت كلمات الله صنعت الإنسان من لا شيء، فكم بالأولى ستشفيه أيضاً وتستعيد له الصحة، مع أنه صار في منتهى الضعف بسبب المرض.

عند هذه النقطة يسرني أن أسأل الفضوليين الذين يسألون عن جوهر الله. كيف استعادت أطراف المفلوج طبيعتها، كيف تشددت عظامه؟ كيف صارت عضلاته قوية بعد أن يبست تماماً؟ كيف أن أوتاره التي ارتخت تماماً صارت مشدودة وتشددت؟ لكنهم لن يستطيعوا أن يخبروني كيف. لذلك لا تتعجب فقط لما حدث ولا تتساءل عن الطريقة التي بها حدث.

اعتراض اليهود: كسر شريعة السبت

عندما فعل المفلوج كما أُمر وحمل سريره رآه اليهود وقالوا له: "إنه سبت. لا يحل لك أن تحمل سريرك" (يو٥:١٠). كان عليهم أن يعبدوا من صنع الأعجوبة، كان عليهم أن يندهشوا للمعجزة التي أجراها، لكنهم ظلوا يتكلمون عن السبت. لماذا؟ لأنهم بكل حق كانوا "يُصَفُّون عن البعوضة ويبلعون الجمل" (مت٢٣:٢٤).

فبماذا أجاب الذي شُفي؟ "أجابهم إن الذي أبرأني هو قال لي احمل سريرك وأمش" (يو٥:١١). هل ترون تأدب الرجل وعرفانه (بالجميل)؟ إنه اعترف مَنْ كان الطبيب، وقال أن معطي الناموس[٢] الذي أمره كان جديراً بثقته.

تماماً مثلما فعل الأعمى منذ ولادته. فبماذا حاججهم الأعمى؟ إنهم قالوا له: "هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت" (يو٩:١٦). وماذا قال هو؟ "نعلم أن الله لا يسمع للخطاة. لكن هذا الإنسان فتح عيني" (يو٩:٣٠-٣١). لهذا فإن حجته تمشي على نحو مثل هذا: "لو تعدى الناموس فقد أخطأ. ولو كان أخطأ ما كانت له مثل هذه القوة. حيث هناك خطية لا يمكن أن تكون قوة، لكنه أظهر قوته. لذلك هو لم يتعدى الناموس ولم يخطئ".

٢- لم يكن الرجل يعرف الذي شفاه أصلاً فمن باب أولى لا يعرف أنه معطي الناموس.

إن المفلوج حاجج بنفس الطريقة عندما قال "الذي أبرأني". فهذا ما كان يشير إليه: "لو أن الذي برهن قوته هذه، هو إنسان، لما كان مجبراً على الإجابة عن تهم كسر الشريعة".

وماذا قال له اليهود: "من هو الإنسان الذي قال لك: احمل سريرك وأمش؟" (يو٥:١٢). انظر كيف أنهم عديمي التمييز والإحساس! انظر كيف أن أرواحهم تضخمت بالكبرياء!.

إن عيون الجسورين لا ترى شيئاً تاماً وصحيحاً. وكنتيجة يمكنهم فقط أن يجدوا حجة للملاجة. وهذا كان الحال مع الذين استجوبوا المشلول. عندما شُفي المشلول وأقرّ أن المسيح شفاه وأمره أن يحمل سريره، أخفقوا في أن يروا هذا الشيء وتحدثوا عن الآخر (كسر السبت). إنهم أغمضوا عيونهم عن المعجزة، لكن اشتكوا على كسر السبت. إنهم لم يقولوا: أين الذي أبرأك؟ فإنهم صمتوا عن الشفاء، لكن قالوا: "من هو الإنسان الذي قال لك احمل سريرك وأمش؟".

لكن كيف يمكن للذي شُفي أن يجيب عليهم؟ لأنه كما يقول الإنجيلي: "وأما الذي شُفي فلم يكن يعلم من هو، لأن يسوع كان قد اعتزل إذ كان في الموضع جمع" (يو٥:١٣). وهذا التصرف يقدِّم أقوى دفاع للإنسان وأعظم دليل على اهتمام المسيح به.

عندما وقف المسيح بجانبه، لم يحييه المفلوج سابقاً كما فعل قائد المئة ولا قال له: قل كلمة فيبرأ غلامي" (مت٨:٨). عندما تسمع هذا لا تتهم المفلوج الذي شُفي بنقص الإيمان لكونه أخفق في التعرف على المسيح. إنه ولا حتى كان يعرف من هو المسيح. وكيف يمكنه أن يعرفه إن كان لم يره أبداً؟ لهذا السبب قال: "ليس لي إنسان يلقيني في البِركة". لو أنه عرف المسيح ما كان أبداً

ذكر البِركة أو النزول إلى الماء، ولكان توقع (أو انتظر) أن يُشفى بنفس الطريقة التي شُفي بها. لكنه ظن أن المسيح كان واحداً من الجمع، مجرد إنسان، ولهذا السبب ذكر الآخرين الذين نزلوا قبله وشفوا.

وهذا دليل على عناية المسيح واهتمامه أنه غادر الذي شفاه، إنما لم يكشف له عن شخصيته. وقد أخفى شخصيته لكي يمنع اليهود من الشك أن المفلوج كان شاهداً مزيفاً. لأن اليهود كانوا سيظنون أن المفلوج قال هذا لأن المسيح كان حاضراً ويحثه على هذه الشهادة. لكن حقيقة أن المسيح لم يكن هناك وأن الرجل لم يعرفه أزالت فرصة التشكك هذه. لأن الإنجيلي قال: "أما الذي شُفي فلم يكن يعلم من هو" (يو٥:١٣).

لهذا السبب أرسل المسيح المفلوج بمفرده، لكي إن أراد اليهود، يأخذوه جانباً ويتحققوا مما قد حدث ويكون لهم دليل كافي على الحدث فيضعوا نهاية لجنونهم غير اللائق. لهذا السبب لم يقل المسيح شيئاً عن نفسه، بل زوّد اليهود بدليل (ألوهيته) بأعماله ذاتها. وهذه الأعمال تكلمت بوضوح أكثر بكل طريقة وبأصوات أوضح من صوت البوق.

لأنه بهذه الطريقة كان كل شيء قد أُزيل بالشهادة التي قد أعطاها المشلول: "الذي أبرأني هو قال لي احمل سريرك وأمش" (يو٥:١١).

إن المشلول صار مبشِّراً ومعلِّماً لغير المؤمنين هؤلاء، طبيباً ونذيراً ليخزيهم ويدينهم. إنه كان طبيباً ليس بكلماته فقط بل بأفعاله. إنه لم يُشف بما قاله ولكن بما فعل. فماذا فعل؟ إنه حمل معه أوضح دليل لا يُنازع، بجسده الذي شُفي أقام صدق الشهادة التي أعطاها.

"بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل وقال له: ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضاً

لئلا يكون لك أشر" (يو٥:١٤).

هل ترون حكمة الطبيب؟ هل ترون اهتمامه؟ ليس فقط هو حرر الإنسان من علّته في ذلك الوقت، بل أمّنه ضد المرض في المستقبل. وهذا كان وقتاً مناسباً جداً لعمل هذا. عندما كان هذا الإنسان راقداً طريح الفراش، لم يقل له المسيح شيئاً مثل هذا. إنه لم يذكّره آنذاك بخطاياه، لأن نفوس من هم مرضى تكون متضايقة وإلى حدٍ ما مكتئبة.

لذلك هو أولاً طرد المرض واستعاد له الصحة. بعد ذلك عقب أن برهن عملياً على قوته واهتمامه به أعطاه هذا النصح الذي في أوانه. لماذا؟ لأن المسيح قد أظهر منذ قليل بذات الأشياء التي صنعها أنه الآن جدير بأن يتم الإيمان به.

لماذا مضى الرجل الذي شُفي وأخبر اليهود عنه؟ إنه تصرف هكذا، لأنه أرادهم أن يشاركوه في التعليم الصادق للمسيح. لكن هذا كان السبب كما قال الإنجيلي أنهم أبغضوا المسيح واضطهدوه. انتبهوا هنا لي بشدة. لأن هنا صُلب الصراع كله. "لهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في سبت" (يو٥:١٦).

لذلك تعالوا نرى كيف دافع المسيح عن نفسه. لأن الطريقة التي بها يقدم قضيته تُظهر لنا إن كان هو إنسان حر أم عبد، إن كان هو الذي يخدم أم الذي يأمر.

ما صنعه يبدو أنه أعظم وأخطر انتهاك للناموس. في الحقيقة كان هناك زمنٌ فيه الإنسان الذي جمع حطباً يوم السبت رُجم إلى الموت، لأنه حمل حطب يوم السبت (انظر عد١٥:٣٢-٣٦). إن المسيح اتُهم بهذه الخطية الخطيرة لأنه انتهك السبت. لذلك تعالوا نرى هل هو سأل للعفو كما يفعل العبد ومن هو

خاضع للأوامر، أم هل يظهر هو نفسه كإنسان له قوة وسلطان، كسيد يسود على الناموس والذي هو نفسه أعطى التوصيات؟ فكيف يصنع دفاعه؟

إنه قال (كرد دفاعي): "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو٥:١٧).

هل رأيتم سلطانه؟ لكن لو كان هو أدنى وأقل من الآب فما قاله ليس دفاعاً، بل إنه اتهام أعظم وتهمة أكثر خطورة. لنفترض أن إنساناً يصنع شيئاً يعمله فقط من هو أعلى منه (مقاماً)، ولنفترض أنه أُمسك واتُهم. ولنفترض أنه يقول: إنني عملته لأن واحد أعلى مني صنعه. ليس فقط يخفق هذا النوع من الدفاع في أن يحرره من التهم، بل يجعله بالأولى واقعاً تحت ملامة أعظم واتهام أكثر خطورة. لأنه علامة على الكبرياء والغطرسة أن تحاول في أشياء تفوق مركز الإنسان وجدارته الحقيقية.

لذلك لو كان المسيح أيضاً أقل من الآب، فما قاله لم يكن دفاعاً بل هو بالأولى سبباً لتهمة أخطر. لكنْ لأن المسيح كان معادلاً للآب، لذلك لم يشكل هذا الكلام أي أساس لتهمة على الإطلاق.

وإن شئت سأوضح ما أقوله بمثال. فقط الملك أو الإمبراطور مُتاح له أن يلبس الثوب الأرجواني وتاج على رأسه. غير مسموح لأي شخص آخر أن يفعل هذا.

لنفترض أن واحداً من الجمهور تم رؤيته متزيناً بهذه الأشياء وسُحب بعد ذلك إلى المحكمة، ولنفترض أنه يقول: "إنني ألبس هذه الآن، لأن هذا هو ما يلبسه الإمبراطور". هذا النوع من الدفاع لا يُطلق سراحه بل يجعله واقعاً تحت عقوبة أكثر خطورة. لكن لو أن هذا الإنسان هو نفسه إمبراطور، أو له نفس الكرامة سيشعر بمنتهى الثقة في القول أنه فقط يفعل ما يفعله الإمبراطور.

كما أن لهما نفس السمو والرفعة، كذلك أيضاً من الطبيعي أن يكون لهما نفس القوة. لذلك إن رأينا شخصاً ما يعرض هذه الحجة دفاعاً عن نفسه، ينبغي أن يكون بكل طريقة إنساناً له نفس الكرامة مثل قوة الذي قدمه دفاعاً عن نفسه.

لذلك عندما استخدم المسيح هذه الحجة ليبرر لليهود ما صنعه أعطاهم دليلاً دامغاً أن له نفس كرامة الآب. إن أردت لنقارن مثال لكلمات المسيح وللعمل الذي عمله. وهكذا لنجعل استخدامه القوة لينتهك (يكسر) السبت يكون مثل ارتداء الرداء الأرجواني والتاج مثل أن يدعو الجناة المدانين يمضون (بمقتضى عفو ملكي).

إن الإمبراطور هو الوحيد المُتاح له أن يعمل هذه الأشياء وغير مسموح لأحد من رعاياه أن يعملها.

لكن لو تم رؤية أحد يعملها، ويعملها عن صواب وحق، فهو أيضاً ينبغي أن يكون إمبراطوراً. كذلك أيضاً نحن نرى هنا المسيح يصنع هذه الأشياء بسلطان. فإن أتُهم وقدَّم أبيه كدفاع له عندما يقول: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو٥:١٧)، يلزم تماماً أن المسيح مساو للآب الذي أيضاً يعمل بسلطان.

لو لم يكن المسيح مساو للآب ما كان استخدم هذا النوع من الحجج للدفاع عن نفسه. لكي تفهموا بوضوح أكثر ما أقوله، تذكّروا أنه مرة كسر التلاميذ السبت بقطف سنابل القمح وأكلها. في حالة المفلوج، المسيح أيضاً كسر السبت. اليهود اتهموا التلاميذ واتهموا المسيح.

لنرى كيف دافع عن التلاميذ وكيف دافع عن نفسه، ومن الفرق بين الاثنين يمكن أن تفهموا السمو والكرامة لحجته في دفاعه عن نفسه.

فأية حجة قدَّمها في دفاعه عما فعله تلاميذه؟ "أما قرأتم ما فعله داود حين جاع؟" (مت١٢:٣). عندما يترافع دفاعاً عمن هم عبيد، فإنه يستشهد بداود رفيقهم في العبودية، لكن عندما يدافع عن نفسه، يستند إلى أبيه كحجة فيقول: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو٥:١٧).

أي نوع من العمل هو الذي يشير إليه؟ ربما يقول شخص ما: "فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل" (تك٢:٢). لذلك العمل الذي يشير إليه المسيح هو عناية الله اليومية بكل الخليقة.

لأن الله ليس فقط خلق الخليقة بل هو يحفظ ما خلقه. سواء تتكلمون عن الملائكة، رؤساء الملائكة، القوات السماوية أو ببساطة كل خليقة مما يُرى وما لا يُرى، الكل يستمتع بعنايته. ولو حُرموا من هذه العناية لهلكوا وفنوا وتلاشوا.

مميزات سماع كلمة الله معاً

احتفظوا بهذه في أذهانكم واحفظوه بكل عناية ممكنة. اجعلوا طريقة حياتكم كرداء منسوج من السلوك الأخلاقي الحميد والعقيدة الصحيحة. هذا كان نصحي لكم منذ فترة قريبة، وهو نصحي لكم اليوم ولن أكفّ عن نصحكم بهذا. لا شيء يساهم في طريقة حياة تقيّة وأخلاقية كما يفعل الوقت الذي تقضونه في الكنيسة.

إن الأرض الجرداء التي ليس لها أحد يرويها ستمتلئ حالاً بالأشواك والحسك. لكن الأرض التي تتمتع بتعب وكد الفلاح ستنتج حصاداً وفيراً. نفس الأمر يحدث مع النفس.

النفس التي تستمتع بالارتواء الآتي من كلام الله ستنتج بفيض وتزدهر وتعجّ بثمار الروح. لكن عندما تصير النفس جافة وتُترك بغير اعتناء، تصير مهجورة ويصير عنبها بريًّا ويتحول إلى خشب وتنتج فيضاً من الأشواك. وهذه الأشواك لها نفس الصفات الطبيعية للخطية. لأنه حيث توجد الأشواك، هناك ستوجد الثعابين والحيات والعقارب وكل قوة الشيطان.

إن لم تصدق ما أقوله، هلم الآن ولنقارن نفوسنا بتلك التي تُركت بدون رعاية، حينئذٍ سنرى كم عظيم هو الفرق، بل لنفحص أي نوع من النفوس نحن عندما نستمتع بتعاليم الله، وأي نوع من النفوس نكون عندما يحدث أننا نُحرم من هذه المعونة لفترة طويلة. عندما يكون لنا مثل هذا المصدر العظيم للمنفعة، ينبغي ألا نضيِّعه. إن الوقت الذي نقضيه هنا في الكنيسة هو الأساس لكل بَرَكة.

عندما يرجع الإنسان من الكنيسة تراه زوجته كزوج (هادئ ولطيف)، وعندما ترجع الزوجة من الكنيسة يراها زوجها كزوجة محبوبة بالأكثر. لأنه ليس الجمال الطبيعي هو الذي يجعل الزوجة محبوبة بالأكثر، بل فضيلة نفسها هي التي تجعلها محبوبة.

كل أدوات الزينة والملابس الغالية الثمن لا يمكنها أن تفعل هذا، بل العفّة والصلاح والفضيلة والمخافة الشديدة لله يمكن أن تفوز به وتحفظ زوجها لها. إن الجمال الروحي لا يمكن أن يُصنع بالتمام إلا في هذا الحصن الإلهي والعجيب للكنيسة.

هنا الرسل والأنبياء ينظّفوا ويجمّلوا الوجه وينزعوا آثار الشيخوخة التي تتركها الخطية ويعيدون زهرة الشباب (الروحي) ويقوموا بالتخلُّص لحسابنا

من أي غضن أو دنس في نفوسنا (انظر أف٥:٢٧). لذلك ليتنا نشتاق كلنا رجالاً ونساءً أن نزرع هذا الجمال في نفوسنا.

إن المرض يُذبل الجمال الجسدي وطول السنين تلاشيه والشيخوخة تجعله يجف والموت يأتي ليضيع ما تبقى منه. لكن جمال النفس لا يمكن أن يذبل مع الوقت أو المرض أو الشيخوخة أو الموت أو أي شيء آخر من هذا القبيل. إنه يبقى دائماً مزدهراً.

لكن كثيراً ما أن الجمال الجسدي يثير شهوة من ينظرون إليه. عندما يكون الجمال هو جمال النفس، فإنه يجتذب الله لحبه. إنه كما قال النبي عندما كان يوجه كلامه إلى الكنيسة: "اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك، فإن الملك قد اشتهى حسنك" (مز٤٥:١١، ١٢).

لذلك لننمّي أيها الأحباء هذا الحب كل يوم وهكذا نصير أعزّاء عند الله. لنمسح كل دنس بقراءة الأسفار وبالصلاة والصدقة بالسلام والوفاق مع بعضنا البعض. لنعمل هذا حتى ما يأتي الملك لحب الجمال (الروحي) في نفوسنا ويعتبرنا جديرين بملكوت السموات.

ليت كل هذا يحدث لكي نقتني كلنا هذا بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد مع الآب والروح القدس الآن وإلى أبد الآبدين .. آمين.

تم الانتهاء من الترجمة عشيّة الخميس ٢٧ أكتوبر ١٩٩٤م الموافق نياحة البابا ديسقوروس بطل الأرثوذكسية.